

عَقِيدَةُ

سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ

المتوفى سنة: ١٦١ هجرية

شَرْحُ

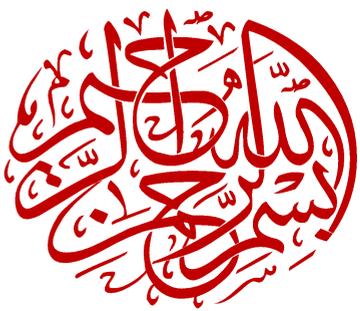
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحِجَازِيِّ

عَتِيدًا لِسَيْفَانِ الثُّورِي

مُحْفَوظَاتٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد وفد علينا أحد الأيام ضيوف كثير، منهم دعاة، وطلبة علم، وبعضهم عوام محبوبون للسنة وأهلها، فأردت ضمن جلوسي معهم أن تقرأ عقيدة مختصرة عن أئمة السنة فتشرح لإفادة من لم يكن اطلع على بعض عقائد السلف، فرأيت عقيدة سفیان الثوري، وأمثالها، أنسب ما تقرأ في هذه المجالس العامة، في خلال عدة مجالس مع التعليق عليها، فنشر عقيدة السلف في أوساط المجتمع من أنفع النفع، والإفادة للمسلمين، والحصانة لهم بتوفيق الله تعالى من العقائد الفاسدة، والفتن الناتج عنها.

ورأيتهم مستعجلين حيث لم يتسع وقت بقائهم لقراءتها عليهم كاملة، مع لوازم التعليق والإفادة عليها، فكان ذلك في بعض الليالي، وقت درسنا بين مغرب وعشاء في (أواخر شعبان ١٤٤٥ هـ) في مسجدنا العامر بشحوح، من بلاد سيئون/

حضر موت، حفظها الله من جميع الشرور والفتن.

واعتنى بها أخونا المفضل: ماهر بن أحمد الجيلاني، أسأل الله أن يبارك فيه، فكانت على هذا الحال المتواضع، أسأل المولى الكريم **عَزَّجَلَّ** أن ينفع بها. وهذا نص عقيدة سفيان الثوري **رَحْمَةُ اللَّهِ**، ثم يليها شرحها، وبالله التوفيق.

قال أبو الطاهر المخلص رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «المخلصيات» (٣٠٣٦):

حدثنا أبو الفضل شعيب بن محمد بن الراجيان قال: حدثنا علي بن حرب الطائي الموصلي بسر من رأى في سنة تسع وخمسين وميتين، قال: سمعت شعيب بن حرب يقول: قلت: لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري: حدثني بحديث من السنة ينفعني الله تعالى به، فإذا وقفت بين يدي الله وساءلني عنه فقال لي: من أين أخذت هذا؟ قلت: يا رب حدثني به سفيان الثوري فأخذته عنه، فأنجو أنا وتؤخذ أنت، فقال لي سفيان: يا شعيب، هذا توكيد وأي توكيد، اكتب: **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**:

١- القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ومن قال غير هذا فهو كافر.
٢- والإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة.

٣- قال شعيب: فقلت: يا أبا عبد الله، وما موافقة السنة؟ قال: تقدمه

الشَّيْخِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

- ٤- يا شعيبُ، لا يَنْفَعُكَ ما كَتَبْتُ حَتَّى تُقَدِّمَ عِثْمَانَ وَعَلِيًّا عَلَيَّ مَنْ بَعَدَهُمَا.
- ٥- يا شعيبُ بَنَ حَرْبٍ، لا يَنْفَعُكَ ما كَتَبْتُ لَكَ حَتَّى لا تَشْهَدَ لِأَحَدٍ بِجَنَةِ
ولا نارٍ إِلا العَشْرَةَ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وَكُلَّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ.
- ٦- يا شعيبُ بَنَ حَرْبٍ، لا يَنْفَعُكَ ما كَتَبْتُ لَكَ حَتَّى تَرَى المَسْحَ عَلَيَّ الحُفَيْنِ
دُونَ خَلْعِهَا أَعْدَلَ عِنْدَكَ مِنْ غَسَلِ قَدَمِيكَ.
- ٧- يا شعيبُ بَنَ حَرْبٍ، لا يَنْفَعُكَ ما كَتَبْتُ لَكَ حَتَّى يَكُونَ إِخْفَاءُ «بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلَ عِنْدَكَ مِنْ أَنْ تَجْهَرَ بِهَا.
- ٨- يا شعيبُ بَنَ حَرْبٍ، لا يَنْفَعُكَ الَّذِي كَتَبْتُ حَتَّى تَوْمَنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ
وَشَرِّهِ حَلْوِهِ وَمَرِّهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ.
- ٩- يا شعيبُ بَنَ حَرْبٍ: وَاللَّهِ ما قَالَتِ القَدْرِيَّةُ ما قَالَ اللَّهُ، وَلا ما قَالَتِ الملائِكَةُ،
وَلا ما قَالَ النَّبِيُّونَ، وَلا ما قَالَ أَهْلُ الجَنَّةِ وَلا ما قَالَ أَهْلُ النَّارِ، وَلا ما قَالَ أَخْوَاهُمْ
إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفْرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَيَّ وَعِزَّتِي عَلَيَّ
سَمِعَهُ وَقَلْبَهُ وَجَعَلَ عَلَيَّ بَصْرَهُ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]،
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وَقَالَتِ الملائِكَةُ: ﴿سُبْحَانَكَ لا
عِلْمَ لَنَا إِلا ما عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ هِيَ
إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ

وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ ﴿ [هود: ٣٤]، وَقَالَ شَعِيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، وَقَالَ أَخُوهُمْ إِبْلِيسُ: ﴿ رَبِّ يَا أَعْيُنِي ﴾ [الحجر: ٣٩].

١٠- يا شعيب، لا ينفَعُكَ ما كتبتُ حتى ترى الصلاةَ خلفَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ، والحجَّ والجهادَ ماضٍ إلى يومِ القيامةِ، والصبرُ تحتَ لواءِ السلطانِ جارٍ أم عدلٌ.

١١- قال شعيبُ: قلتُ لسفيانَ: يا أبا عبدِ اللهِ، الصلاةُ كلُّها؟ قال: لا ولكنْ صلاةُ الجمعةِ والعيدينِ، صلِّ خلفَ مَنْ أدركتَ، وأمَّا سائرُ ذلكَ فانتَ مُخَيَّرٌ أَلَّا تُصَلِّ إِلَّا خَلْفَ مَنْ تَنَقُّ بِهِ، وتعلمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

١٢- يا شعيبُ بنَ حربٍ، إذا وقفتَ بينَ يدي اللهِ تعالى فسألكَ عن هذا الحديثِ فقل: حدَّثني بهذا الحديثِ سفيانُ بنُ سعيدِ الثَّوْرِيِّ، ثم خَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي يا شعيبُ. انتهت.



المقدمة ، وتتضمن أهمية العقيدة الصحيحة وفضلها

قوله: عقيدة سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري رَحِمَهُ اللهُ



الكلام على كلمة : (عقيدة)

العقيدة في اللغة:

قال ابن فارس في كتابه «مقاييس اللغة»: العَيْنُ وَالْقَافُ وَالذَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدِّ وَشِدَّةٍ وَثُبُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ الْبَابِ كُلِّهَا. اهـ.

يعني: أن العقيدة هي الشد والربط من حيث اللغة.

وبعضهم يقول: وَالْإِعْتِقَادُ هُوَ حُكْمُ الذَّهْنِ الْجَازِمُ، فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِلْوَاقِعِ (الحق) فَهُوَ صَحِيحٌ، وَإِلَّا فَهُوَ فَاسِدٌ. اهـ من «لوامع الأنوار» للسفاريني (٦٠/١).

وتعريفها شرعاً: الإيمان الجازم بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وبملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، وما يجب لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من التوحيد، وما يتعلق بذلك.

وتسمى كتبها:

- كتب العقيدة.
- وتسمى: كتب التوحيد، لا سيما أن العقيدة قد تكون أشمل وأعم وأوسع، فيدخل فيها التوحيد.

• وتسمى: كتب الشريعة، منها «الشريعة» للآجري، والشريعة أشمل، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣]، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨].

- وتسمى أيضاً: أصول الدين، كما ذكر اللالكائي وجملة، «أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

- وتسمى: الإيمان، كتب الإيمان هي كتب العقيدة.
- وتسمى: السنة، كتب السنة هي كتب العقيدة.
- وهي الفقه الأكبر، وفي «الصحيحين» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»^(١)، مدلوله أن من أراد الله به خيراً فقهه في توحيده، فالدين إذا أطلق

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

المقصود به الدين الشامل، وذلك توحيد الله **عَزَّجَلَّ** وما يتبعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال النبي **ﷺ**: «إِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ لَا الْيَهُودِيَّةَ وَلَا النَّصْرَانِيَّةَ وَلَا الْمَجُوسِيَّةَ»^(١)، فالعقيدة هي الفقه الأكبر، ومن هذا كتاب «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

فمن فقه العقيدة فقه توحيد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فقه ما ينجو به من عذاب الله، ومن لم يفقه العقيدة الصحيحة وساء فقهه فيها، وانحرف عنها لا ينجيه ما عدا ذلك من المسائل الفقهية في الطهارة أو الصلاة أو الزكاة ونحوها، فهي الفقه الأكبر.

أهميتها بالغة، فتعلم العقيدة الصحيحة واجب، له بالغ الأهمية في حياة الإنسان:

١- فلا صلاح للقلوب إلا بالعقيدة الصحيحة، وبعدم العقيدة الصحيحة تفسد القلوب، فصلاح العبد كلياً بالعقيدة الصحيحة، وفساده على ضدها كما في

(١) أخرجه أحمد (١٣٢/٣٥، ١٣٠)، والترمذي (٣٨٩٨)، واللفظ له، والحاكم (٣٩٦٢)، وآخرون، من طريق عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب، وهذا سند حسن، وهو مخرج في «الصحيح المسند» لشيخنا **رَحِمَهُ اللَّهُ** رقم (٣).

«الصحيحين» من حديث الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١)، فإذا صلحت العقيدة صلحت سائر الجوارح، الظاهرة والباطنة، وإذا فسدت فسد الإنسان كله.

٢- وهي فطرة الله، الإنسان فطره الله عَزَّ وَجَلَّ على العقيدة الصحيحة ودين الحق، ولا ينتقل عن ذلك إلا بناقل ينقله من المجالسين السيئين، ففي «الصحيحين»^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، أي: على الإسلام والعقيدة الصحيحة والدين الصحيح، وهذا دليل على أن العقيدة هي الفطرة، ﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: فَإِنَّهُ تَعَالَى فَطَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ. اهـ.

وفي «صحيح مسلم»^(٣) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) برقم: (١٤٨).

قَالَ: «يَقُولُ: اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا».

٢- أهميتها، باعتبار أنها بيان للفطرة التي فطر الإنسان عليها، وتثبيت القلب على ذلك، حتى يلقي الإنسان ربه بفطرة أرادها من عباده.

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢]:

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْإِشْهَادِ إِنَّهَا هُوَ فِطْرُهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعِيَاضِ بْنِ حَمَارِ الْمُجَاشَعِيِّ، وَمِنْ رِوَايَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعِ.

وَقَدْ فَسَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الْآيَةَ بِذَلِكَ، قَالُوا: وَهَذَا قَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وَلَمْ يَقُلْ: (مِنْ آدَمَ).

﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وَلَمْ يَقُلْ: (مِنْ ظَهْرِهِ).

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أَي: جَعَلَ نَسْلَهُمْ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، وَقَرْنَا بَعْدَ

قَرْنٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وَقَالَ: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وَقَالَ: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أَيْ: أَوْجَدَهُمْ شَاهِدِينَ بِذَلِكَ، قَائِلِينَ لَهُ حَالًا وَقَالًا، وَالشَّهَادَةُ تَارَةً تَكُونُ بِالْقَوْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] الْآيَةَ، وَتَارَةً تَكُونُ حَالًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] أَيْ: حَالَهُمْ شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ لَا أَنَّهُمْ قَائِلُونَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [العاديات: ٧].

كَمَا أَنَّ السُّؤَالَ تَارَةً يَكُونُ بِالْمَقَالِ، وَتَارَةً يَكُونُ بِالْحَالِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَتَذَكَّرُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] قَالُوا: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا هَذَا، أَنْ جَعَلَ هَذَا الْإِشْهَادَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي الْإِشْرَاقِ، فَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ هَذَا كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ لَكَانَ كُلُّ أَحَدٍ يَذْكُرُهُ، لِيَكُونَ حُجَّةً عَلَيْهِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنْخَبَارُ الرَّسُولِ بِهِ كَافٍ فِي وُجُودِهِ، **فَالْجَوَابُ:** أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُكَذِّبُونَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرَّسُلُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ. وَهَذَا جَعَلَ حُجَّةً مُسْتَقَلَّةً عَلَيْهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْفِطْرَةُ الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ؛ وَهَذَا

قَالَ: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أَي: لَيْلًا يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أَي: عَنِ التَّوْحِيدِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] الآية. اهـ.

٤- العقيدة، أنزل الله عزَّ وجلَّ كتبه، وأرسل رسله لإقامتها، وتثبيتها في قلوب المؤمنين، وفي حديث جبريل، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في مسلم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن جبريل أرسله الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه في ذلك المجلس، يُعلم الناس دينهم، وعقيدتهم.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يَرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ (١)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ:

(١) هذا بدء تعليم العقيدة.

صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبِّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُقَّاعَةَ الْعُرَاءَةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»

حديث جبريل هذا كله عقيدة، وعلى مضمونه ألف كثير من الأئمة كتب العقيدة، وأفرده شيخ الإسلام بالتصنيف في «الإيمان الأوسط».

٥- أهمية العقيدة أنها حياة الإنسان، حياة صحيحة شرعية يرضاها الله، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فذو العقيدة الفاسد ميت، وإن كان أكلاً شارباً كالأنعام، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، وذو العقيدة الصحيحة على بصيرة من الله ونور.

٦- والعقيدة الصحيحة هي الفارق بين الحق والباطل، والمحق والمبطل، قال

تعالى: ﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۗ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، وقال: ﴿أَمْ

جَعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

٧- وأصحاب العقيدة الصحيحة أولياء الرحمن، وأصحاب العقيدة الفاسدة

أولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿الْأَيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [٦٢] لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]، وقال

تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ

هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٨- والعقيدة الصحيحة صراط مستقيم، ودين قويم، والعقيدة الفاسدة

ضلال مبين، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام: ١٥٣]، انظر

كيف جمع في هذا الآية: بين العقيدة الصحيحة وفائدتها ونجاة أهلها، وبين

العقيدة الفاسدة والتشتت فيها، قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام: ١٥٣].

الهدى هو دين الحق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، بالهدى: بالعلم النافع ودين الحق، ومن دين الحق: العقيدة الصحيحة، وقال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^(١)، فيستفيد صاحب العقيدة أجوره، وتثبت له أعماله التي احتسبها من أعمال الإيثار، لقيام الإخلاص، لقيام التوحيد، لقيام النوايا الصحيحة والمقاصد الحسنة، والأعمال الصالحة من ضمنها الإخلاص والتوحيد، وتهدر أعمال ذوي العقيدة البطالة الفاسدة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، وفي الحديث القدسي: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ»^(٣).

فتهدر الأعمال إذا لم تقم على عقيدة صحيحة، وعلى إخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومتابعة، فلا يكون الدين قائماً، ولا يُقبل عند الله إلا بالإخلاص والمتابعة، فإذا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اختل ذلك اختل العمل كله، وصار هباءً منثورًا، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فأى عمل لا يقوم على العقيدة الصحيحة، مهذور.

٩- والعقيدة الصحيحة بها تجتمع الأمة، والعقيدة الفاسدة تفرقهم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فِإِحْدَىٰ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِيْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجُمَاعَةُ»^(١).

فالذين هم أهل حق مجتمعون وأولئك تفرقوا كما تفرق من كان قبلهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تُرِيبُتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، تفرقوا في دينهم وعقيدتهم ومزقوا وتمزقوا وتشرذموا، فالعقيدة الصحيحة يجتمع عليها أهل الحق، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، عَنْ عَنِّ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٨﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، أي: من رحمهم الله يجتمعون على العقيدة الصحيحة ما يتفرقون وأولئك يتفرقون، ويضادون الخير، والله ابتلى أهل الخير بأهل الشر، أهل الحق بأهل الباطل، ولذلك خلقهم، خلق الخير والشر، خلق الشيطان وخلق آدم، وخلق الجنة وخلق النار، للبلوى، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

فالعقيدة الصحيحة بها يجتمع المؤمنون عليها، كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُؤَادِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢]، دلّ هذا على أنهم إن عبدوا الله **عَزَّوَجَلَّ**، وسلخوا ما دلّ عليه كتاب الله سنة رسوله اجتمعوا، وصاروا أمة واحدة، وإنما يتفرقون إذا زيلوا أو ضعفوا في العقيدة الصحيحة إلى التشبه بمن سار على ضدها من الكفار والمشركين، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

١٠- العقيدة الصحيحة، حياة القلوب ونوره، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّا لَنَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحاشية: ١٨]، فهي قناعة، يتأسس الإنسان بالعقيدة الصحيحة على القناعة بهذا الدين والثبات عليه، فمن ثبته الله عزَّجَلَّ ثبته بها، ومن أزاغه الله عزَّجَلَّ أزاغه بضدها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥]، الزبغ عنها، والثبات عليها، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

١١- والعقيدة الصحيحة، كلف الله عزَّجَلَّ العباد، وأمرهم بها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبادة: هي التوحيد، كل كلمة فيها: (يعبدون)، (عبادة) هي توحيد الله إفراد الله بالعبودية ذاتاً، وصفاتاً، وأفعالاً.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]:

والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله (١).

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (١٤٩/١٠).

الله خلق العباد لأن يعتقدوا عقيدة صحيحة، ويعبدوه على ما حب وشرع، وحذرهم من العقائد الفاسدة التي لا يرضاها الله، قال الله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

١٢- جميع الرسل إليها يدعون، وعن ضدها ينهون وينأون، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾: أي: المعتقد، دين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** دين الحق.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾: ولا يقام دين الله **عَزَّوَجَلَّ** إلا بالمعتقد الصحيح الذي خلق الله العباد من أجله.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: التفرق ليس منه.

هذه الماحة، في أهمية العقيدة الصحيحة وفضلها، والموضوع جدير بالتصنيف في فضائل العقيدة، وأهميتها، وشموليتها، ودوامها، وبقائها، حتى أن آخر طوائف أهل العقيدة الصحيحة، ما يزال الله **عَزَّوَجَلَّ** يحفظها، ويدفع عنها، «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يُضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ».

صح هذا الحديث عن عدد من الصحابة منهم:

- الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٣٦٤٠)، وَمُسْلِمٍ (١٩٢١)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».
- وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٣٦٤١)، مُسْلِمٍ (١٠٣٧)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُحَايِمَرَ: قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ.
- وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٢٤٨٤)، وَأَحْمَدَ رَقْمَ (١٩٩٢٠)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ».
- وَثَوْبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ مُسْلِمٍ (١٩٢٠)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ: وَهُمْ كَذَلِكَ.
- وَجَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ مُسْلِمٍ (١٩٢٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».
- وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عِنْدَ مُسْلِمٍ (١٩٢٣)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

• وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عِنْدَ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ (١٩٢٤)، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمْرٍو بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ الْمُهْرِيُّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، أَسْمَعُ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَجَلٌ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمُنْكَ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

• وَقُرَّةُ بْنُ إِيَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ (٢١٩٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

قال الترمذي: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ. وَفِي الْبَابِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. اهـ.

• وَسَلَمَةُ بْنُ نَفِيلِ السَّكُونِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «التاريخ الكبير»

(٧٠/٤)، قَالَ: دَنَوْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى كَادَتْ رُكْبَتَايَ تَمْسَانِ فَخِذَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سِيءَ بِالْحَيْلِ، وَأَلْقِيَ السَّلَاحَ، وَزَعَمُوا أَنْ لَا قِتَالَ، قَالَ: «كَذَّبُوا، الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرَةٌ عَلَى النَّاسِ، يُزِيغُ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ، فَيَقَاتِلُوهُمْ لِيَنَالُوا مِنْهُمْ، قَالَ، وَهُوَ مُوَلِّ ظَهْرَهُ إِلَى الْيَمَنِ: إِنِّي لِأَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَانِ مِنْ هَاهُنَا، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنِّي مَكْفُوتٌ غَيْرُ مُلَبَّثٍ، وَتَتَّبِعُونِي أَفْذَاذًا، وَالْحَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلِهَا مُعَاوَنُونَ عَلَيْهَا».

ساق هذه الأحاديث، شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند من دلائل النبوة»

(٥٤١-٥٤٣).

وهذه العقيدة الصحيحة والدين القويم، شاملة، عامة، دائمة، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]،

وهي النعمة التي أسبغها الله على العباد، ومن ابتغى غيرها سفه نفسه، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي

الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا

لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [شكراً لأنعمه أجتبه وهدنه إلى صراط مستقيم] [١٣١]

وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٣٢] ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

﴿تُرَّ أَوْحِينَآ إِلَيْكَ﴾: أي: النبي ﷺ.

﴿حَنِيفًا﴾: أي: مقبل على الله معرض عن ما سواه.

وفي شمولية العقيدة، ودوام العقيدة، قال تعالى: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، أي: في دين الله، «تَرَكْتُمْ عَلَىٰ مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»^(١)، على دين كامل شامل يجب أن يكون الإنسان على ذلك، والزيغ عن ذلك هلكة؛ لحديث: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ»^(٢)، فالاختلاف على الأنبياء مزايلة للمعتقد الذي أتوا به، هلكة، فهلك من هلك ودمرت تلك البلدان والأمم بسبب مزايلتهم العقيدة الصحيحة التي أرادها الله من عباده.

وَقَوْلُهُ: (عقيدة سفیان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ):

هي عقيدة المسلمين، كل ما ذكر هنا عقيدة للمسلمين؛ لكن جرت عادة الناس أنهم يقولون: عقيدة فلان، أي: العقيدة التي سار عليها، وقررها سفیان مأخوذه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أئمة الهدى يقررون العقيدة على ما دل

(١) أخرجه ابن ماجه: (٥)، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: (١٣٣٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عليه كتاب الله، وسنة رسوله، وما قاله أئمة السلف.

لأن الكتاب والسنة مصدر العقيدة؛ فلا تأخذ العقيدة إلا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

لَكِنَّهَا فِي الْحَقِّ تَوْفِيفِيَّةٌ ... لَتَأْبَدًا أُدِلَّةٌ وَفِيَّهِ (١)

ويعرف الحق بالعقيدة الصحيحة، والباطل بضدها، كل ذلك مبني على الكتاب والسنة، وعلى فهم السلف رضوان الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، لهذا من يشاق في العقيدة الصحيحة عرض نفسه للعذاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

(١) «الدرة المضية» للسفاريني البيت (٣٥).

فدل هذا على أن التعرض للعذاب والهلكة هو بمزايلة طريقة من سار على هذه العقيدة، وقال النبي ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجُنَادِ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرَتِكُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْلَتُونَ مِنْ يَدِي» (١).

وهو يأخذ بحجز الأمة ويدهم على الخير، على الجنة، على العقيدة الصحيحة التي أرسل الله الرسل بها، وأنزل كتب بها.

ومن حقق العقيدة الصحيحة آمنَ في الدنيا من الفتنة، وفي الآخرة من العذاب، فأسباب أمن البلدان، وثبات الإيوان، وسعادة الإنسان، هي العقيدة الصحيحة، وبضدها ضد ذلك، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١٢٣]، طه: [١٢٣]، أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

وبعث النبي ﷺ معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ، وَقَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا،

(١) أخرجه مسلم: (٢٢٨٥)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُوْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»^(١)، الحديث في العقيدة.

وكتاب الله كله توحيد كما ذكر ابن أبي العز وغيره، فكله في العقيدة الصحيحة التي أرادها الله ودم ما خالفها وما ضادها، وفضل من سار على المعتقد الصحيح وعلى ما أراد الله وما أعد الله له، وما أعد الله لمن خالف ذلك.

قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٤٣/١):

فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ. ف ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] تَوْحِيدٌ، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣] تَوْحِيدٌ، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] تَوْحِيدٌ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] تَوْحِيدٌ، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] تَوْحِيدٌ مُتَّصِمٌ لِسُؤَالِ الْهُدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ.

وَكَذَلِكَ شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا التَّوْحِيدِ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَآؤُهُ وَرُسُلُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ

(١) أخرجه البخاري: (٧٢٧٣)، ومسلم (١٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿٩﴾ [آل عمران: ١٨-١٩]، فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةَ إِثْبَاتَ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَالرَّدَّ عَلَى جَمِيعِ طَوَائِفِ الضَّلَالِ، فَتَضَمَّنَتْ أَجَلَ شَهَادَةِ وَأَعْظَمَهَا وَأَعْدَلَهَا وَأَصْدَقَهَا، مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ. اهـ.

فمعرفة أهمية العقيدة الصحيحة فقه مهم؛ لأن بعضهم يظن أن العقيدة مضمونها أنك تدرس كتابًا مخصصًا في كذا، وفي كذا، فما من آية إلا وهي في العقيدة، أو في فضل أهلها، أو في ما أعدّه الله لأهلها، أو ذم من خالف العقيدة وذم أهل ذلك، وما أعدّ الله لمن خالف ذلك، وكذلك أيضًا في مضمون العقيدة، ولوازم العقيدة من التعبد لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان عند عامة السلف، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم، نقل الاتفاق على تفسير الإيمان في هذه الآية بالصلاة، والصلاة عمل.

وَقَوْلُهُ: (عقيدة سفیان):

هذه العقيدة إلى سفیان، سيأتي تراجم رجال سندها، وكلهم أئمة ثقات إلى سفیان، وتناقلها الأئمة عنه، فهي ثابتة إليه يقينًا.

ترجمة سفیان:

سفيان: بن سعيد بن مسروق الثوري، بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة،

وقيل: من ثور همدان، والصحيح الأول. اهـ «التهذيب». إمام، روى له الجماعة.

قال المحافظ في «التقريب»: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة. اهـ.

قال شعبة، وابن عيينة، وأبو عاصم، وابن معين، وغير واحد من العلماء: سفيان أمير المؤمنين في الحديث.

وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، رأيت سعيد بن جبير، وغيره، تقول هذا! قال: هو ما أقول: ما رأيت أفضل من سفيان.

وقال ابن مهدي: كَانَ وَهَيْبٌ يُقَدِّمُ سَفِيَّانَ فِي الْحِفْظِ عَلَيَّ مَالِكٍ.

وقال يحيى القطان: لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ شُعْبَةَ، وَلَا يَعْدِلُهُ عِنْدِي أَحَدٌ، وَإِذَا خَالَفَهُ سَفِيَّانُ أَخَذْتُ بِقَوْلِ سَفِيَّانَ.

وقال الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحدا في الفقه والحديث والزهد وكل شيء.

وقال الأجرى عن أبي داود: ليس يختلف في سفيان وشعبة في شيء إلا يظفر سفيان.

وقال أبو داود: بلغني عن ابن معين ما خالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قول سفيان.

وقال ابن المديني: لا أعلم سفيان صحف في شيء قط.

وقال المروزي عن أحمد: لم يتقدمه في قلبي أحد.

وقال عبد الله بن داود: ما رأيت أفقه من سفيان.

وقال أبو قطن: قال لي شعبة: إنَّ سفيان ساد الناس بالورع والعلم.

وكان مجاب الدعوة.

قال الحافظ: وفضائله كثيرة جدًا.

قال الخطيب: كان إمامًا من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مجتمعا على إمامته، بحيث يستغنى عن تركيته مع الإثقان، والحفظ، والمعرفة، والضبط، والورع، والزهد. اهـ.

هذا ملخص ترجمة سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري رَحِمَهُ اللهُ، وفي ترجمته وذكر فضائله بعض الرسائل الخاصة.

فأما أبوه: سعيد بن مسروق، ثقة، روى له الجماعة، أصحاب الكتب الستة كلهم؛ إلا أنَّ سفيان الثوري أرجح من أبيه.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «التهذيب»: سعيد بن مسروق الثوري الكوفي.

قال ابن معين وأبو حاتم والعجلي والنسائي: ثقة. اهـ.

لكن انظر كم الفرق بينه، وبين ولده سفيان من الفضل؟ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

قال الحافظ في «التهذيب»: ولد - سفيان الثوري - سنة سبع وتسعين، وكان ثقة مأموناً، عابداً، ثباً، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وفي بعض ذلك خلاف، والصحيح ما هنا. اهـ. يعني: في ذكر ولادته ووفاته.

أما جده: الذي هو مسروق فله ذكر في ترجمة يونس بن عطاء من «ميزان الاعتدال»، وساق له من طريق يونس بن عطاء، عَنْ سَفِيَّانِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ (مسروق)، عَنْ زِيَادِ الصُّدَائِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ تَكَفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ».

قال الحافظ الذهبي: لا أعرف لجد الثوري ذكراً إلا في هذا الخبر.

قال ابن حبان: يونس بن عطاء يروي العجائب، لا يجوز الاحتجاج به. اهـ. من «ميزان الاعتدال».

قلنا: وهو خبر موضوع، كما في «السلسلة الضعيفة» للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٦٢٠)، وأفرد له الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «لسان الميزان» ترجمة ولم يزد على ما ذكره الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال».

فعل هذا: هو في عداد المجاهيل، ولا يعرف حسب ما ذكر الذهبي، وتلاه على

ذلك الحافظ بن حجر.



إسناد عقيدة سفيان وسؤال شعيب له

قال أبو الطاهر المخلص في «المخلصيات» (٣٠٣٦):

حدثنا أبو الفضل شعيب بن محمد بن الراجبان قال: حدثنا علي بن حرب الطائي الموصلي بسر من رأى في سنة تسع وخمسين ومئتين، قال: سمعت شعيب بن حرب يقول: قلت: لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري: حدثني بحديث من السنة ينفعني الله تعالى به، فإذا وقفت بين يدي الله وساءلني عنه فقال لي: من أين أخذت هذا؟ قلت: يا رب حدثني به سفيان الثوري فأخذته عنه، فأنجو أنا وتؤخذ أنت، فقال لي سفيان: يا شعيب، هذا توكيد وأي توكيد.

الشرح

هذا السند رجاله ثقات.

أبو الفضل شعيب بن محمد بن الراجبان: مترجم في «سير علام النبلاء»، وفي «تاريخ بغداد»، وهو ثقة.

وشيخه علي بن حرب الطائي الموصلي: إمام محدث، صاحب مسند، مترجم في

«التهذيب»، وفي «التقريب» قال: صدوق فاضل. اهـ.

والصحيح أنه ثقة، وثقه جماعة.

قَوْلُهُ: (سَرَّ مَنْ رَأَى فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ): نسبة إليه، السامرائي، وهذا

التوثيق سنة تسع وخمسين ومئتين لمزيد الثبیت.

قَوْلُهُ: (قَالَ: سَمِعْتُ شَعِيبَ بْنَ حَرْبٍ): هو شعيب بن حرب المدائني مترجم

في «التهذيب»، ثقة عابد.

قَوْلُهُ: (يَقُولُ: قَلْتُ: لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ)، هذه الكنية تكنى بها الأئمة الثلاثة: أحمد بن

حنبل، والشافعي، ومالك كلهم هذه كنيتهم فاشتهرت هذه الكنية بين الأئمة.

هذا طلب من هذا الإمام لهذا الإمام، شعيب بن حرب تلميذ سفيان الثوري

يطلب منه أن يحدثه، وهذه الفقرة تتضمن أنه طلب منه أن يحدثه بما مضمونه السنة.

قَوْلُهُ: (قَالَ: حَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ مِنَ السُّنَّةِ):

وقوله: (من السنة)، هو ما ذكر أحاديث، وآيات يستدل بها على كل فقرة؛

لكن يعني: حدثني بحديث مضمونه الطريقة التي عليها أئمة الهدى، المأخوذة

من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ما قال له: حدثني عن رأيك حتى يكون

تقليدًا، فإن التقليد إتياع من ليس بحجة بلا حجة، أما هذا طلب منه أن يحدثه

بحديث من السنة.

والسنة: هي الطريقة.

مِنْ مَعْشَرِ سُنَّتِ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ... وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا (١)

وقال النبي ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (٢)، أي: طرق من كان قبلكم، فتطلق على الطريقة الصحيحة، والطريقة الباطلة، وشعيب يطلب من شيخه أبي عبد الله أن يحدثه من السنة ما يدل على طريق نجاة، طريق نفع من سنة رسول الله ﷺ، وطريقته التي دل عليها قول النبي ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (٣).

وفي هذا الحال السنة تشمل القرآن إذا أفردت بالذكر، والقرآن يشمل السنة إذا أفرد بالذكر؛ لأنها الطريقة فإذا قيل: عليكم بستتي، ليس معناه: عليكم بستتي دون الكتاب، أي: بطريقتي في أخذ الكتاب والسنة، وسنة الخلفاء الراشدين، أي: طريقتهم، عضوا عليها بالنواجذ، وإذا قيل: تمسك بالكتاب، أي: تمسك بالكتاب مع السنة؛ لأنها بيان له، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

(١) «ديوان لبيد بن ربيعة العامري» (١١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولأنها وحي، قال تعالى: ﴿وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ﴾ [النجم: ١-٤].

ولأنها منزلة من الله عزَّوجلَّ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ﴾ [النساء: ١١٣]؛ والحكمة هنا: السنة اتفاقاً.

ولأنها متلوة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْتَ مَا يُنثَلُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقد ذكر الأصوليون أنها: قوليةٌ، وفعليةٌ، وتقريريةٌ، وهميةٌ، فقوله: «لَيْنُ بَقِيَّتِ إِلَى قَابِلٍ لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»^(١)، سنة همية، وأكِل الضب على مائدة النبي ﷺ، وأقر ذلك النبي ﷺ، سنة تقريرية في جواز أكله، إنما قال: «لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ»^(٢)، أما القولية، والفعلية فكثير، وتوسع بعضهم في ذكر أسمائها، كما تراه في كتب الأصول.

وكلام النبي ﷺ، المنزل للتبليغ الذي مقتضاها التعبد وحيٌّ، وعليه يحمل قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لما كان يكتب عن النبي ﷺ كل ما

(١) أخرجه مسلم (١١٣٤)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٩١)، ومسلم (١٩٤٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يقوله، ليحفظ ذلك، قالت قُرَيْشٌ: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: «اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ»^(١)، فكله حق.

ما كان مقتضاه التعبد وحي من الله، وما كان من كلام كالنداء لشخص كأن يقول: يا فلان، فيقال: هذا كلام ليس مقتضاه التعبد، وهو من الحق وليس باطل، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ﴾ [النجم: ٣]؛ لكن لا يقال: إنه وحي كالمنزل؛ لأن هذا كلام مما يتكلم به سائر الناس.

وفي هذه المقدمة، في سؤال شعيب بن حرب لشيخه، عدة فوائد نستفيدها من طريقة السلف في التلمذ فمن ذلك:

• سؤال أهل العلم، عالم يسأل عالماً أرفع منه، أبو موسى يسأل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما في قصة أصحاب مسجد بني حنيفة، قَالَ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ أَنْفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنَّ عِشْتَ فَسْتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا

(١) أخرجه أحمد رقم: (٦٥١٠، ٦٨٠٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يَسْتَضْرِبُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَا، فَيَقُولُ: كَبُرُوا مِائَةً، فَيَكْبُرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلَّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبَّحُوا مِائَةً، فَيَسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُمْ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوْ أَنْتِظَارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَصَوِّمْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَى وَمَضِينَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلِيقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَأَيْكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَإِنَّا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيُحْكَمَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكْتُمْ هُوَ لِأَنَّ صَحَابَةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَنْبِيئُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مَلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مَلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ مُفْتَسِحُوا بِابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا: «أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ»، وَإِيمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَةً أَوْلَيْكَ الْحَلِيقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرِ وَإِنْ مَعَ الْخَوَارِجِ (١).

فالسؤال يكون من إنسان يجهل تلك المسألة، سواء كان عنده علم في جوانب أو كان جاهلاً على الإطلاق، فإن الله قد أمر بسؤال أهل الذكر: ﴿فَسْأَلُوا

(١) أخرجه الدارمي: (٢١٠)، باب في كراهية أخذ الرأى.

أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ [النحل: ٤٣]، شعيب سأل شيخه عن ذلك للاستزادة والاستفادة من الخير.

• وفيه أيضاً: تلقين العقيدة فقد كان يتلقنها الصغار عن الكبار من أئمتنا تأسياً برسول الله ﷺ: «(يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ)، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ» (١)، الحديث، هذا تلقين العقيدة، «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا»، تلقين العقيدة وغير ذلك، فقد كان العلماء يلقنون التلاميذ العقيدة تأسياً بالنبي ﷺ، يقول لتلك الجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْتَقَهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» (٢).

نبي الله يوسف ما أفتى الذين سألوه عن تأويل الرؤية حتى لقنهم العقيدة، وأخبرهم بتوحيد الله سبحانه: ﴿يُصَلِّحِي اللَّسَانَ أَأَبَاطُ مْتَفَرُّونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]، أخبرهم، ففيه استغلال الفرص في نشر العلم والعقيدة الصحيحة.

(١) أخرجه أحمد: (٢٧٦٣، ٢٨٠٣)، والترمذي (٢٥١٦)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَغَيْرِهِمْ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧)، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• ومن سبيل تلقي العلم السؤال والجواب، وفي «الصحیح» من ذلك جملة، وكانوا يحبون أن يأتي الأعرابي فيسأل فيستفيدون، وهذه الطريقة للسلف رضوان الله عليهم تضمنت أنهم يحرصون على النفع ما يسأل عبثاً بلا طلب فائدة، فإن هذا لا يجوز كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكِرَهُ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(١)، المقصود بكثرة السؤال: ليس الذي يسمى عند الناس تسول فذاك قليله وكثيره حرام إلا لضرورة، - سؤال النَّاسِ أموالهم -.

ولكن السؤال هنا يراد به ما كان لغير فائدة، هذا لا يجوز، أن يريد السؤال لتعنت لعدم الفائدة أو لا يريد بذلك ابتغاء وجه الله ونفع نفسه والناس، فأسئلة أصحاب رسول الله ﷺ والسلف كانت مقصورة على ما ينتفع به، حتى إن علياً لما كان متزوجاً بنت النبي ﷺ، وكان يريد أن يسأل عن أمر مهم ابتلي به هو، كان مذاءً، أمر المقداد أن يسأل النبي ﷺ وهو يسمع ويستفيد، قال: «اغْسِلْ ذَكَرَكَ، وَتَوَضَّأْ»^(٢).

وجبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نشر للأمة علماً على طريقة السؤال، فأتى النَّبِيُّ ﷺ،

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣)، عَنِ الْمُعِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه وهو في «عمدة الأحكام».

قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ»، وهكذا أخبرني، يسأل، ورسول الله ﷺ يجيبه ليستفيد السامعون، والأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهم يستفيدون من تلك الأسئلة والأجوبة، فكان السؤال لقصد النفع، وعَلَّمَ جبريل الأمة أن يكون سؤا لهم للإنتفاع، والاستفادة.

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «أَحْرِضْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١)، فينبغي للطالب أن يكون حريصاً على النفع، ومن دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَانْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَزِدْنِي عِلْمًا»^(٢)، وشأن الإنسان الصالح أنه منتفع بالعلم، وعلمه حجة له لا عليه، وفي «الصحيحين»^(٣)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّجَلَّ مِنْ أُمَّةٍ، وَالْعِلْمُ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبَلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِدَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ

(١) أخرجه مسلم.

(٢) البزار في «البحر الزخار»: (٩٤١٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَلَّمَ - هذا هو المنتفع بعلمه -، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»، فتأمل المنتفع ومنقبة المنتفع وكيف يصير نفعًا لنفسه وللمسلمين كالأرض المثمرة.

ومن لا ينتفع بعلمه يصير علمه حجة عليه، وفي «الصحيح» عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ يَمْلَأُنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا» (١).

والشاهد: أَنَّ النَّاسَ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسْمَيْنِ: إِمَّا مُنْتَفِعُونَ، وَإِمَّا مُتَضَرَّرُونَ.

والذي لم ينتفع بعلمه نموذج ذلك ما في «الصحيحين» عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِرَجُلٍ كَانَ وَالِيًا فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ فِي النَّارِ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَا، فَيُجْمَعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ

(١) أخرجه مسلم (١٧٢)، الطُّهُورُ: بضم الطاء.

وَأَنْتُمْ تَتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ [البقرة: ٤٤]، فليس من العقل الصحيح السليم أن يكون عنده علم ينتفع الناس به وهو يحترق به، كالفتيلة تُضيئ لغيرها وتحرق نفسها.

وَمَنْ نَهَى عَمَّالَهُ قَدِ ارْتَكَبَ ... فَقَدْ أَتَى مِمَّا بِهِ يُقْضَى الْعَجَبُ
فَلَوْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ فَنَادَاهَا ... عَنْ غَيْهَا لَكَانَ قَدْ أَفَادَهَا (١)

وأدلة ذلك كثيرًا في أهمية الحرص على الانتفاع بالعلم، **أولاً**: أن تأخذه من أهله، **ثانيًا**: أن تعمل به ليكون مثمرًا لك، فإن العلم شجرة والنتع به ثمرة، وقد ألف ابن رجب **رَحْمَةُ اللَّهِ** «فضل علم السلف على علم الخلف» - فعلمهم قليل نافع، والمتأخرون كثير فيه تشتت -، ردّها على بعض الذين يقولون: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، على أمثال هؤلاء الذين يفضلون طريقة المتأخرين، بعضهم من أصحاب علم الكلام، فأبان أنّ طريقة النبي ﷺ، وأصحابه، ومن سلك مسلكهم ونهجهم إلى قيام الساعة أنها أسلم وأعلم وأحكم وأفضل، بلا مقارنة.

لَوْلَا التَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا لَمَا وُضِعَتْ ... كُتُبُ التَّنَاطُرِ لِلا مُغْنِي وَلَا الْعَمْدُ
يُحْلَلُونَ بِزَعْمٍ مِنْهُمْ عَقْدًا ... وَبِالَّذِي وَضَعُوهُ زَادَتِ الْعُقْدُ

(١) «الدرّة المضيئة» للسفاريني البيت (١٨٣).

ومعنى ذلك: أن هذه من كتب الكلام، المغني من كتب الكلام، والعمد كذلك، فما زادوا الخرق إلا اتساعاً، ما كان هذا التقييم كبير نفع للمسلمين؛ وإنما هو من التضحيمات، وهي نظير قول بعضهم في الآونة المتأخرة: هؤلاء أصحاب فقه الواقع، وأولئك أهل الحديث، وأهل الفقه الشرعي، هؤلاء أهل الفقه الشرعي: الطهارة، والصلاة، والزكاة، وما يفهمون الواقع، هذا القصد منه التحقير والتهوين من العلم حقاً، ومن علماء الهدى، ولفت أنظار الناس إلى أناس لا يحسنون صنعا في مسائل الفقه، والعلم النافع، بما ينجو به المسلمون بإذن الله من الفتن.

• تتضمن أيضاً هذه الطريقة: أنهم يرون أن العلم نجاة من الفتن، يرون أن النجاة هي بالتفقه في الدين وأعظمه العقيدة، وأنه إن لقي الله عزَّجَلَّ لقيه بتلك العقيدة.

وَقَوْلُهُ: «فَإِذَا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ»:

هذه عقيدة السلف: الإيثار بالوقوف بين يدي الله، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»^(١)، فتجد كلامهم في سؤالهم وجوابهم ينبني على أعداد الأدلة.

وَقَوْلُهُ: «بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ»: هو في سؤاله هذا يُثَبَّتْ معتقداً صحيحاً أيضاً إثبات

(١) أخرجه البخاري (٢٤)، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صفة اليدين لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** (بين يدي الله)، فيعتقد: أنه واقف بين يدي الله، ومثل هذه العقيدة التي يعتقدونها تبعث في القلب الخوف أن يلقى الإنسان ربه جاهلاً، أو بعقيدة فاسدة، أو بما يسأله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فلا يجد جواباً عنه، وإنما أتت الكفار بعدم إيمانهم بالغفلة، والجهلة، أنهم ما يحسبون ذلك وأنهم إلى ربهم راجعون، إنكار البعث، إنكار الوقوف، إنكار السؤال بالبحود.

أما من تقرر لديه هذا الإيمان والاعتقاد: أنه واقف بين يدي ربه، فإنه يحدوه ذلك إلى إعداد جواب للسؤال.

وَقَوْلُهُ: «إِذَا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَسَاءَ لِي»: هو يخاف من أن يسأله الله **عَزَّ وَجَلَّ**

فيجيب بأجوبة غير سديدة، والسؤال قد يكون على حالين:

- سؤال تقرير المؤمن بالنعم، والستر عليه.
- وسؤال نقاش، أما «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»^(١)، كما قال النبي **ﷺ** لعائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ» يا عائشة، يقرر عليه نعمته، يا عبدي ألم تكن فعلت كذا، وفعلت كذا، ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا، وأغفر لك في الآخرة، فالكل مسؤول، قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤].

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

ولكن المؤمن يستره الله، والكافر يناقش ويهلك، «لا تزول قدما عبدٍ من بين يدي الله عزَّ وجلَّ حتى يُسألَ عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه»^(١)، فواجب على المؤمن أن تكون عقيدته على هذا، وإن كان يسأل للاستزادة مع ما عنده من الخير والإيمان من قوله: وقفتُ بين يدي الله: الإيمان بالوقوف، والإيمان بصفات الله عزَّ وجلَّ يدي الله، والإيمان بالمساءلة، وحتى في القبر، يسأل في قبره «مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟»^(٢)، كما في حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطويل.

فالعقيدة يُسأل عنها، والتوحيد يُسأل عنه، يُسأل عن الله، يُسأل عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يناديهم فيقول أَيْنَ شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص: ٦٢].

قَوْلُهُ: «فَقَالَ لِي»: هذا الكلام هو نفسه يؤمن بقول الله عزَّ وجلَّ، فهو يتضمن أنه يعلم ويعتقد أن الله يقول، أنه يتكلم.

وكما أن شعيب بن حرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يريد هذه المنفعة فإنه ما يرى أن سفیان

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٥٦)، والبخاري (٢٦٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٠).

العالم النحرير هو الذي ينفعه إلا بما نفعه الله به، وإن كان قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»^(١)، وأمثال ذلك «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٢)؛ لكن هذه أسباب، معلمك يعلمك هذا سبب للانتفاع، تنتفع، وقد لا تنتفع، فإن نفعك الله انتفعت، وإن لم ينفعك الله أزدت إثماً بما سمعت، فإذا من انتفع من العالم نفعه الله، ومن لم ينتفع ما نفعه الله به، «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٣).

فنعمة العبد يضر بتقدير الله، وينفع بتقدير الله، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَتْ، وَلَا مُعْطِيَّ لِمَا مَنَعَتْ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٤)، فهو يعتقد أن النفع الله؛ لكن يحرص على أن ينفعه الله به، والدواء سبب، والرقية سبب للانتفاع في الأبدان، وليست هي النافع بذاتها، لا الرقية بذاتها هي التي تشفي، ولا الدواء هو

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٩)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري (٨٨٤)، ومسلم (٤٧١).

الذي يشفي، إنما يشفي الله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

ثم إنَّ هذا الإمام يقول لشيخه: حدَّثني بحديثٍ من السنَّةِ يَنفَعني اللهُ تعالى به، فإذا وقفت بين يدي الله وساءلني عنه، فقال لي: من أين أخذتَ هذا؟
دليله الحديث: «عَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ».

قَوْلُهُ: «حَدَّثني به سفيانُ الثوريُّ فأخذتهُ عنه»: معنى ذلك: أنَّ السلف طريقتهم بأخذ العلم عن الأئمة، قال مجاهد: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: أَقْفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا، وفي الحديث: «تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازِدْنَا بِهِ إِيْمَانًا» (١).

والسنة يأخذونها عن الأئمة بالأسانيد حدثنا فلان، عن فلان، فهذه طريقة التلقي، قال ابن سيرين **رَحِمَهُ اللهُ:** «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ» (٢)، وما أحسن ما قيل:

يَظُنُّ الْعُمْرَانُ الْكُتُبَ تَهْدِي ... أَخَافَهُمِ لِإِذْرَاكِ الْعُلُومِ
وَمَا يَدْرِي الْجَهْلُ بِأَنَّ فِيهَا ... عَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ
إِذَا رُمَتْ الْعُلُومُ بِغَيْرِ شَيْخٍ ... ضَلَّتْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
وَتَلْتَبِسُ الْعُلُومُ عَلَيْكَ حَتَّى ... تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تَوْمَاتِ الْحَكِيمِ

(١) أخرجه ابن ماجه (٦١)، وهو حديث صحيح.

(٢) مقدمة الإمام مسلم (١/١٤)، باب في أنَّ الإسنادَ مِنَ الدِّينِ.

فنحن بحاجة إلى العناية بسلوك طريقة السلف، والاستفادة منهم.

تَمَسَّكَ إِن ظَفِرْتَ بِدَيْلٍ حُرٍّ ... فَإِنَّ الْحُرَّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ

فمن ظفر بعالم يربض عنده، ويتلقى العلم عنده، فهنيئاً له ذلك، «مِنْ سَعَادَةِ الْحَدِيثِ وَالْأَعْجَبِيِّ أَنْ يُوَفَّقَهُمَا اللَّهُ لِعَالِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ»^(١)، هذا الأثر ما نعلم ثبوته عن أيوب؛ لكن مضمونه صحيح، كما قال ابن سيرين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»، يوفر على نفسه فلا يتشتت، ولا يضيع عليه وقته، ولا يتخبط فيأخذ عن من هب ودب.

ثم إن شعيباً يُشدد على شيخه في المسألة، ويؤكد يقول: **«فَأَخَذْتَهُ عَنْهُ، فَأَنْجُو»**، أي: أن العلم نجاة، وقد ينجو السائل ويهلك المسؤول.

متى يهلك المفتي؟! إذا أجب ودلَّ على غير الصواب، وربما كانت هلكته في الدنيا والآخرة، تعرفون الذي قتل **(٩٩)** نفساً ثم أفتي بغير علم: أنه ما له توبة، كانت هذه الفتوى سبباً لقتل المفتي، قال: **«فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ الْمِائَةَ»**.

وفي **«الصحيحين»** **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا**

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لللالكائي (١/٦٦)، رقم (٣٠).

فَأَفْتَنُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١)، وتحصل الضلالة على الناس بسبب السؤال لغير أهل العلم.

فالضلالة كل الضلالة أن يُسأل الجاهل، وفي الحديث: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَاعَةً، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُحْتَوَنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرَّوَيْضَةُ» قِيلَ: وَمَا الرَّوَيْضَةُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»^(٢).

وعلماء السوء رذالة وفساق، كما في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُدَائِكُمْ».

قَالَ زَيْدٌ - هُوَ: ابْنُ يَحْيَى الَّذِي فِي السَّنَدِ - تَفْسِيرٌ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالْعِلْمُ فِي رُدَائِكُمْ»، إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٧٩١٢)، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٥)، وهو مخرج في «الصحيح المسند» لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ رقم: (١٠٩).

قَوْلُهُ: «وَتُؤَخِّدُ أَنْتَ»: ذلك لأن الله عَزَّجَلَّ حرم القول بغير علم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]. فالقول على الله بغير علم، والفتيا بغير علم، صاحبه يتحمل وزره ووزر من أضله، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

وفي الحديث: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (١).

وَقَوْلُهُ: «فَأَنْجُو»: في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوب عليه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجامع الصحيح» (٤٤/١) رقم: (٤١)، في كتاب العلم، إثم المفتي إذا لم يتثبت في فتواه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ فَقَدْ خَانَهُ، وَمَنْ أَفْتَى فُتِيًّا بِغَيْرِ تَثَبُّتٍ فَإِنَّ إِثْمَهَا عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ».

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا سيما والسائل قد تحرى من يثق بدينه، فلم يكن ذلك على بينة وتثبت أفتاه بغير علم، فقوله في هذا: (فأنجو أنا).

قَوْلُهُ: «فَقَالَ لِي سَفِيَانُ: يَا شَعِيبُ، هَذَا توكِيدٌ وَأَيْ توكِيدٍ»:

ومعناه: تشديد في السؤال، وأي تشديد، لاسيما وهو يقول: (أنجو أنا وتؤخذ أنت)، وهو يطلب منه أن يدلّه على أسباب النجاة، وأصل ذلك قول النبي ﷺ الذي في «الصحيح»^(١)، أن ذلك الرجل قال: يا رسول الله، إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» فَقَالَ: أَسَأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ»، قَالَ: أُنشِدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أُنشِدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أُنشِدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَانِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فَقْرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولٌ مِنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامٌ بِنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.

قَوْلُ سَفِيَانِ لَهُ: «اكتب»: هذه الفقرة تفيد أن طريقة السلف العناية بالعلم

وكتابته، وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ

(١) البخاري (٦٣)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ» فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١)، إِلَّا أَنَّهُ مَنْسُوخٌ؛ فَقَدْ كَتَبُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَتَبَ عَنْهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحِيفَةً، وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ»^(٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اَكْتُبُوا لِأَبِي سَأْوٍ»^(٣)، وَبُوبَ الْبُخَارِيُّ بِأَبِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ، وَبُوبَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ» بِأَبِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ، رَقْمًا: (١٨)، وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يُخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»^(٤)، وَبُوبَ أَبُو دَاوُدَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ أَيْضًا: بِأَبٍ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ:

الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ ... قَيْدُ صَيْدِكَ بِالْحَبَالِ الْوَائِقَةُ
فَيْنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً ... وَتَتْرُكَهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةً

أَي: تَتْرُكُهَا تَشْرَدُ، عِلْمٌ لَا يُكْتَبُ يَضِيعُ، خَاصَّةً عَلَى حَالِنَا وَضَعْفِنَا، وَالْأُمَّةُ الْأَوَائِلُ كَانُوا حِفَاطًا، بَعْضُهُمْ مَا كَانَ يَكْتُبُ سُودَاءَ عَلَى بِيضَاءَ، أَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ

(١) رَقْمًا: (٣٠٠٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٣).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٣٤)، وَمُسْلِمٌ (١٣٥٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٤٦)، وَهُوَ مَخْرُجٌ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» لِشَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ رَقْمًا (٧٩٤).

مستحب كما قال الحافظ تحت هذا الباب كتابة العلم، بعد أن ساق الأحاديث،
قال: وَالْإِجْمَاعُ انْعَقَدَ عَلَى جَوَازِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ بِلِ عَلى اسْتِحْبَابِهِ. اهـ.

وما هذه الكتب التي ينهل منها السلمون إلا من ثمار كتابة العلم.

وكما مرَّ بنا عن ابن المبارك قال: كَتَبْتُ عَنْ أَلْفٍ وَمِائَةِ شَيْخٍ، مَا كَتَبْتُ عَنْ
أَفْضَلٍ مِنْ سَفِيَانٍ، أَي: يكتب العلم.



قال سفيان الثوري رحمه الله: اكتب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

الشرح

قوله: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ):

ما زلنا في تربية السلف للسلف، ومنها تعليم سفيان تلميذه أن يكتب البسملة قبل كتابة العلم الذي سيملى عليه، وهو بهذا يُعلمه التأسي الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

• أما كتاب الله، فأبان الله عزَّ وجلَّ في كتابة نبي الله سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ملكة سبأ، أنه قال: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۗ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠-٣١]، وقبله نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين أمرهم بالركوب: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

• وأما من السنة: فكتب النبي ﷺ إلى هرقل، وهرقل كافر، وذكر في كتابه البسملة، كما في «الصححين» من حديث أبي سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال النبي ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ»^(١)،... الخ.

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

• وفي صلح الحديبية جاء سهيل بن عمرو لكتابة الصلح، وقد رضي النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلح بأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فَقَالَ: أكتب يا علي، **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اَكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»** ثُمَّ قَالَ: **«هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»**، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(١)، الحديث.

وصارت السنة عند أهل السنة كتابة: (بسم الله الرحمن الرحيم) في الرسائل، والكتب، والمصنفات، هذا هو الأصل، جاء في ذلك حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُبْدَأْ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ»**، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ هُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ مَخْرُجٍ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ»، حَدِيثٌ ضَعِيفٌ جَدًّا، فِي «الْمَوْضُوعَاتِ» لابن الجوزي، وعلته أحمد بن محمد بن الجندي، وهو ضعيف، فلا اعتماد على هذا الضعيف كما ترى، ويغنينا عنه ما تقدم من الأدلة التي أجمع عليها العلماء.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

قال الحافظ عند حديث قصة هرقل: إن علماء الأمصار أجمعوا على ذلك.

وذكر القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِ البَسْمَلَةِ: الأجماع على كتابتها في أول الرسائل والكتب، وأن ذلك مستحب، قال: اتَّفَقَتِ الأُمَّةُ عَلَى جَوَازِ كِتَابَتِهَا فِي أَوَّلِ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ العِلْمِ وَالرَّسَائِلِ. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «الفتح» (٢٢٠/٨):

وَقَدْ جُمِعَتْ كُتُبُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى المُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ فَلَمْ يَفْعَ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا البَدَاءَةَ بِالحَمْدِ بَلْ بِالبَسْمَلَةِ وَهُوَ يُؤَيِّدُ مَا فَرَزْتُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

ويكفي قول: (بسم الله)، ولا بأس أن يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم)، ويمكن أن يضيف إليه الحمد؛ لكن لا يترك البسملة لما فيها من البركة.

ومر بنا في «الصحيح المسند ما ليس في الصحيحين» لشيخنا رَحْمَةُ اللَّهِ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو داوودَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَوْدُودٍ، عَمَّنْ سَمِعَ، أَبَانَ بْنَ عَثْمَانَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَثْمَانَ يَعْنِي ابْنَ عَفَانَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُضْرُّ مَعَ اسْمِهِ (١) شَيْءٌ، فِي الأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

(١) أي: مع ذكر اسمه.

لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ»، وَقَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنُ عُثْمَانَ، الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ، وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا».

بركة البسملة

• إذا تأملت مثل هذا الحديث تعرف بركة هذا الذكر، بهذا الذكر تصير بفضل الله عز وجل محفوظاً في ليلك ونهارك كله، وإذا قدر عليك شيء من الآلاء لا تتضرر به سواء كان ذلك من العيون أو الأسحار أو الأمراض أو العاهات أو الآفات ما يضرك، لدلالة خبر رسول الله ﷺ هذه بركة عظيمة.

• وبركة عظيمة أن الإنسان إذا أكل وسمَّ الله، سلِّمَ طعامه من أكل الشيطان معه؛ ففي حديث حذيفة رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضْعُ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ^(١) كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّهَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ

(١) تحمل على الصغيرة أو أمتها من إمامه.

بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيُّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ» (١).

فالطعام إذا لم يُذكر اسم الله عليه، استحلّه الشيطان، وهذه مفسدة عظيمة أن الشيطان يأكل طعامك ويتقوى عليك؛ ولهذا أدب النبي ﷺ أصحابه على التسمية على الطعام والشراب، فقال: «يَا غَلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» (٢)، وهكذا قَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَتَعَدْتُ فَشَرِبْتُ،... فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ (٣).

وإذا قُدِّرَ أَنَّكَ نَسِيتَ فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ أَنَّهُ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ أَوْلَهُ وَآخِرَهُ» (٤)، فَتَدَارِكُ ذَلِكَ الْمَشْرُوبَ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَاءَ الشَّيْطَانُ مَا فِي بَطْنِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ.

• وَمِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ (٥) عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٤) أخرجه أحمد رقم: (١٨٩٦٣)، عَنْ أُمِّيَّةَ بْنِ مَحْشِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) وجاء عند غيره، عند أحمد رقم: (١٤٧٢٩): «فَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ».

لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَيْتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَيْتَ وَالْعَشَاءَ»^(١)، يعني: أدرك هو وقومه، فهو ما يدخل وحده، يدخل ومعه مفسدون كثير إلى البيت.

فمن بركة هذه التسمية حجز الخبيث - عيادًا بالله منه - عن دخول البيوت، وهذه الشياطين غير القرناء، شياطين الإفساد بين المرء وزوجه، والولد وولده، وفي البيوت، وما كان من ذلك شياطين الضرر، فإذا حصل ذلك الذكر والتسمية حصل عليك لطف من الله وبركة في بيتك وعافية، وكم ترون في البيوت من أضرار بسبب قلة الذكر عند الدخول وكذا عند الخروج.

• من بركة هذا الذكر أنه إِذَا خَرَجَ المرءُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قَالَ: يُقَالُ حَيْتِيذٌ: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيْتَ، فَتَسْحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرٌ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟»^(٢).

• ومن بركتها عند النوم، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»^(٣)، وفي الحديث الآخر: كَانَ يَقُولُ «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ

(١) أخرجه مسلم: (٢٠١٨).

(٢) أخرجه أبو داود: (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ.

(٣) أخرجه البخاري: (٦٣٢٤)، عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جَنَّبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(١)، جاء في الحديث الآخر، قال: «فإن أصبح أصاب خيرا وإن مات مات على الفطرة»، فمن نام على هذا الذكر وما كان من بابه إن قبض على فطرة الإسلام، وإن أصبح أصاب خيرا، والخير هنا مبهم، يشمل أعداد الخيرات مما يريده الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لك بسبب هذا الذكر.

• بركة هذا الذكر على الذبيحة أو الصيد، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢١]، فهذه الآيات تبين أنك تأكل مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح التي أحلها الله، ويحرم عليك أن تأكل مما لم يذكر اسم الله عليه.

وعلى الصحيح: أنه إن لم يذكر اسم الله عليه ناسياً أنه لا يجوز أكلها، إلا أنه لا يأثم؛ لأنه ما تعمد المعصية، وإفساد النعمة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب: ٥]؛ ولكن الذبيحة لا تؤكل لعموم هذه الأدلة.

(١) أخرجه البخاري: (٦٣٢٠)، عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وإن تعمد تركها أو ذكر غير الله عليها حرم أكلها وهو آثم؛ لأنه عصى الله بتركها على الذبيحة، وإهدار النعمة، والذبيحة لا تؤكل، فالفارق بين عدم ذكرها عمدًا، وعدم ذكرها ناسيًا أنك ما تأثم حال النسيان، أما من حيث حرمتها فهي حرام، ما لم يذكر اسم الله عليها على كل حال.

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أُرْسِلَتْ كَلْبُكَ وَسَمَّيْتَ فَكُلْ»^(١)، وإذا لم تذكر اسم الله فلا تأكل سواء أرسل كلبه أو أرسل رمحه لا يأكل، فتفسد تلك النعمة، ما لم يذكر اسم الله عليه.

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَرِزْقًا وَلَدًا لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»^(٢).

فتأمل هذه البركة التي تحصل لك من هذا الذكر لك ولأهلك، ولنسلك، فأول تسبب في صلاح الولد هذا الذكر، أن الشيطان لا يضره.

فسروا، «لَمْ يَضُرَّهُ»: أي: أنه لا يحصل منه ضرر يهلكه، هذه بركة عظيمة أن

(١) أخرجه البخاري: (٥٤٧٦)، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: (٣٢٧١)، أخرجه مسلم (١٤٣٤)، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا يكون الشيطان متسلطاً على هذا الولد، ولا يهلكه.

وبوب البخاري في «صحيحه» قال: بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الْوِقَاعِ، وساق هذا الحديث في التسمية عند الوقاع، وكأنه يشير إلى أنه لا يضره إذا سمّي عند الوقاع كذلك لا يضره إذا سمى في صلاته، ولا يشغله خنزب، فيلبس عليه صلاته كما يصنع بمن لا يسمّي عند وضوءه، والله أعلم.



١- قال سفيان الصوري رحمه الله: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ومن قال غير هذا فهو كافر.

الشرح

قوله: «القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ومن قال غير هذا فهو كافر»: على هذه الجملة عدة فقرات:

١- الفقرة الأولى: لفظ: «القرآن»:

• يُطلق ويراد به: المقروء، كقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠]، أي: هذا المقروء، هذا الكتاب، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، فهو كتاب هداية، كقول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وكقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا فُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

• ويُطلق ويراد به: التلاوة القراءة، كقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ

قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]، أي: تلاوة الفجر، وقراءة الفجر تشهدا للملائكة.

وقول النَّبِيِّ ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»، أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، وساق له الحاكم في «المستدرک» (٥٧١/١)، وبعدها، طرقاً كثيرة إلى طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْسَجَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وهذا سند صحيح رجاله ثقات.

٢- الفقرة الثانية: لفظ القرآن يأتي بمعنى عام، وبمعنى خاص.

فعل المعنى العام: ما في «الصحيحين» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَا أَدْنَى اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ» (١).

ومعنى: «أَدْنَى»: أي: استمع، كقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٦٠﴾﴾

[الانشقاق: ٢]، أي: استمعت لربها، ﴿وَحُقَّتْ ﴿٦٠﴾﴾: وحق لها أن تستمع أمر الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ

بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئْسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣١﴾

[الرعد: ٣١].

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

قال ابن كثير في «تفسيره»:

يَقُولُ تَعَالَى مَا دِحًا لِلْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمُفَضَّلًا لَهُ عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ قَبْلَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]، أَي: لَوْ كَانَ فِي الْكُتُبِ الْمَأْصِيَةِ كِتَابٌ تَسِيرُ بِهِ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، أَوْ تُقَطَّعُ بِهِ الْأَرْضُ وَتَنْشَقُّ أَوْ تُكَلَّمُ بِهِ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهَا، لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ الْمُتَّصِفُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ، أَوْ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَازِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَنْ آخِرِهِمْ إِذَا اجْتَمَعُوا أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَلَا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَمَعَ هَذَا فَهَؤُلَاءِ الْمَشْرُكُونَ كَافِرُونَ بِهِ، جَاحِدُونَ لَهُ.

﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، أَي: مَرْجِعُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ. وَقَدْ يُطْلَقُ اسْمُ الْقُرْآنِ عَلَى كُلِّ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَمِيعِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ (الْقُرْآنَ)» (١)، فَكَانَ

(١) تعتمد رواية «القرآن»، وهي في نسخة من المطبوع، البخاري (٣٤١٧)، ففيها الشاهد أن القرآن يطلق بالمعنى العام على الكتب المتقدمة.

يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ أَنْ تُسْرَجَ، فَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْرَجَ دَابَّتُهُ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ»، انفرد بإخراجه البخاري برقم (٣٤١٧).
والمتراد بالقرآن هنا الزبور. اهـ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۗ﴾ [الإسراء: ٥٥]، فالقرآن الذي آتاه الله داود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هو الزبور.

فيطلق القرآن بالمعنى العام على جميع الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل، وما من نبي ولا رسول إلا وقد أنزل عليه كتاب، قال الله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ۗ﴾ [الحديد: ٢٥]، وهذا يشمل كل رسول معه كتاب من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ۖ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۚ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۗ﴾ [آل عمران: ٨١].

فدلت هذه الآية أن كل نبي معه كتاب، وحكمة، فالحكمة هنا: قد يراد بها السنة.

مِنْ مَعْشَرِ سُنَّتِ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ... وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا (١)

(١) «ديوان لبيد بن ربيعة العامري» (١١٦).

والقرآن على المعنى الخاص: هو كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** الذي أنزله على محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مبتدأً بالفاحة، مختماً ب: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝﴾ [الناس: ١]، أنزله على نبيه محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو الكتاب المبارك، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، الكتاب المهيم على جميع الكتب، والناسخ لها، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، فدَلَّ على أن هذا القرآن مهيم على سائر الكتب وناسخ لها، وهذا مما لا خلاف فيه.

فالتوراة والإنجيل من الكتب المتداولة، منها ما هو محرف، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٧٥-٧٦].

ومنه ما هو متحل، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝﴾ [البقرة: ٧٩]، ويل لهم على كسبهم المحرم، ولهم ويل آخر على الفرية على الله.

وقد يقول قائل: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دعا بالتَّوراة حين زنا اليهودي باليهودية، فدلَّ على أنَّه كان يحكم بينهم بذلك الكتاب، فما نسخت هذه الآية؟

والجواب: أنَّ الكتب المتقدمة كلها منسوخة، وحكم بينهم النَّبِيُّ ﷺ بهذا الكتاب، قال تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاةً﴾ [المائدة: ٤٨]، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وإنما أراد النَّبِيُّ ﷺ أن يُقَرِّرَهُمْ أَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَمَّا كَانَ فِي كِتَابِهِمْ وَهُمْ يَخْفُونَهُ، فلا بكتابهم عملوا ولا بالقرآن، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]، فدعوا بتلك التَّوراة وجاء مدرَّاسهم فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ (١)، وفي رواية: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ» (٢).

وليس محصورًا كلام الله عَزَّوَجَلَّ في هذا القرآن، ولا في تلك الكتب، بل الله

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩)، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٠٠)، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يتكلم متى شاء، بما شاء، كيف شاء، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وكما أن القرآن بالمعنى العام والخاص، فكذلك الإسلام، فالإسلام يطلق بالمعنى العام على جميع أديان الأنبياء التي جاءوا بها عن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، كما قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، فوصف الله النبيين بأنهم أسلموا.

وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

وقال النبي **ﷺ**: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ لَا الْيَهُودِيَّةُ وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ وَلَا الْمَجُوسِيَّةُ»^(١)، وقال الله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِهِ وَوَعَقَبُوا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال تعالى:

(١) أخرجه أحمد (٢١٢٠٣)، والترمذي (٣٨٩٨)، واللفظ له، والحاكم (٣٩٦٢)، وغيرهم.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١]، وقال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، وفي هذه الآية، وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمَّتْنَا وَآشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

فجميع الأنبياء دينهم الإسلام؛ لأن الإسلام هو التوحيد الذي بعث به الأنبياء، فهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وما من رسول إلا ويدعو إلى ذلك، قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَذَكَرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا قَاعِبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف: ٢١].

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أما على المعنى الخاص، فيطلق على الإسلام الذي جاء به الرسول **ﷺ**، والذي هو ناسخ لجميع الأديان.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، أَوْ يَهُودِيٍّ، أَوْ نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ»^(١)، فصار ناسخاً لجميع تلك الملل، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولو جاء يهوديٌّ أو نصرانيٌّ وقال: هو تابع فيما يزعم لموسى أو عيسى ولم يؤمن بالنبي ﷺ فإنه كافر بالإجماع، لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ وَقَالَ أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، فقد أمر الله الأنبياء بالإيمان به، وسائر من سمع بالنبي ﷺ لا يقبل منه أي دين غير هذا الدين الإسلامي.

وما تسمعه عن بعضهم، يقول: (الدين الإبراهيمي جامع بني الإسلام، وغيره من الأديان الباطلة)، هذا كذب، فدين إبراهيم هو الإسلام بنص الأدلة المذكورة.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذِيفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١٣٧] رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ

(١) أخرجه أحمد (٢١٢٠٣)، والترمذي (٣٨٩٨)، واللفظ له، والحاكم (٣٩٦٢)، وغيرهم.

غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

٣- الفقرة الثالثة: قَوْلُهُ: «كَلَامُ اللَّهِ»:

هذا مضاف، ومضاف إليه، كلمة (كلام): مضاف، (ولفظ الجلالة): مضاف إليه، وهذه إضافة صفة إلى متصف بها.

والنوع الثاني من الإضافة: إضافة مُلْكٍ إلى مالِكِهِ، وَخَلَقَ إلى خَالِقِهِ، كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٤]، وَبَيْتِ اللَّهِ، وَعَبْدِ اللَّهِ، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، إضافة مخلوق إلى خالقه، ومُلكٍ إلى مالِكِهِ، ليست صفة؛ لأنه شيء منفصل، لو قيل: بيت زيد، (بيت): مضاف، و(زيد): مضاف إليه، هي إضافة مُلْكٍ إلى مالِكِهِ، وثوب زيد، ملك إلى مالِكِهِ؛ لأنه ينفصل عنه ليست صفة له؛ لكن لو قلت: وجه زيد، (وجه) مضاف، (زيد) مضاف إليه، وهي صفة إلى متصف بها.

٤- الفقرة الرابعة: وجوب اعتقاد أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ :

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، ويجب أن يعتقد المسلم إثبات صفة الكلام لله عَزَّجَلَّ، سواء من هذه الفقرة التي يقررها الثوري مبنية على أدلة الكتاب والسنة ونظيرها.

وهذه المسألة ذكر ابن أبي العز **رَحِمَهُ اللَّهُ** عند قول الطحاوي: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ

كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ بَدَأَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحِيًّا، وَصَدَقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيَقِنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَرَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرٍ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المدر: ٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرٍ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٣٥﴾﴾ [المدر: ٢٥]، عَلِمْنَا وَأَيَقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُهُ قَوْلُ الْبَشَرِ. اهـ من «الطحاوية» (٣٣).

قال ابن أبي العزيفي «شرح الطحاوية» (١٧٢/١):

هَذِهِ قَاعِدَةٌ شَرِيفَةٌ، وَأَصْلٌ كَبِيرٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، ضَلَّ فِيهِ طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ الطَّحَاوِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِمَنْ تَدَبَّرَهُمَا، وَشَهِدَتْ بِهِ الْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ الَّتِي لَمْ تُغَيَّرْ بِالشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ وَالْأَرَءِ الْبَاطِلَةِ. اهـ.

٥- الفقرة الخامسة: قال ابن أبي العزيفي «شرح الطحاوية» (١٧٢/١):

وَقَدْ افْتَرَقَ النَّاسُ فِي مَسْأَلَةِ الْكَلَامِ عَلَى تِسْعَةِ أَقْوَالٍ (١):

(١) ثمانية منها، كلها باطلة، والقول التاسع هو الصواب، ونقل هذه الأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، مِنْهَا: «منهاج السنة» (٣٥٨/٢-٣٦٣).

- **أَحَدَهَا:** أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ هُوَ مَا يَفِيضُ عَلَى النَّفُوسِ مِنْ مَعَانِي، إِمَّا مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ (١) عِنْدَ بَعْضِهِمْ، أَوْ مِنْ غَيْرِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الصَّابِئَةِ وَالْمُتَفَلِّسَةِ (٢).
- **وَتَانِيهَا:** أَنَّهُ مَخْلُوقٌ خَلَقَهُ اللَّهُ مُنْفَصِلًا عَنْهُ (٣)، وَهَذَا قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ (٤).
- **وَتَالِثُهَا:** أَنَّهُ مَعْنَى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِذَاتِ اللَّهِ، هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْحَبْرُ وَالِاسْتِحْبَابُ (٥)، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْعَرَبِيَّةِ كَانَ قُرْآنًا، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْعِبْرِيَّةِ كَانَ تَوْرَةً، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ كِلَابٍ وَمَنْ وَافَقَهُ، كَالْأَشْعَرِيِّ وَغَيْرِهِ (٦).

(١) يعنون به: قوى النفس.

(٢) وهذا تعطيلٌ، معناه: أن الله لا يتصف بالكلام، ولا يتكلم؛ ولكن هذا القرآن عبارة عن شيء يفيض على النفوس.

(٣) أي: أن القرآن عندهم مخلوق، نفي كلام الله، وأن الله ما يتكلم، وأن القرآن مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، يعني: كما خلق الحيوانات، وبني آدم، خلق القرآن عندهم، فهو مخلوق كالإنسان كالحيوان كالجهااد...

(٤) وسند هذا القول إلى أول من نشره أكثر: وهو الجهم بن صفوان أخذَه عن الجعد بن درهم، وأخذَه الجعد عن أبان بن سَمْعَانَ، وأخذَه أبان عن طألوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذَه طألوت، عن لبيد بن الأعصم اليهودي السَّاجِرِ، الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فرجع أصل هذا القول الكفري إلى يهودي، فسند هذه المقولة الكفرية خماسي ينتهي إلى يهودي.

(٥) هو الاستعلام.

(٦) ما يقولون: الذي في المصحف كلام الله، ولكن يقولون: هذا الذي في المصحف هو عبارة عن كلام الله؛ لأن كلام الله نفساني، قائم بذات الله.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ أَرْزَلِيَّةٌ مُجْتَمِعَةٌ فِي الْأَرْزَلِ (١)، وَهَذَا قَوْلٌ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَمِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ (٢).

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ، لَكِنْ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا، وَهَذَا قَوْلُ الْكِرَامِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ (٣).

(١) يسمى القائلون به: الاقترانيون، وهذا مؤداه أن القرآن في الأزل لم يتكلم به الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هذا الذي في المصحف ليس بكلام الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: يكفي في بطلان هذا القول تصوره لأن هذا القول غير ممكن؛ لأنه لا بد من وجودها على سبيل التعاقب والتسلسل حرفاً بعد حرف كما أنه يستحيل أن يوجد وقتان في وقت واحد، فكذلك الحروف غير ممكن أن نجتمع بين حرفين في وقت واحد في حالتين في حالة الخط إذا تكلم رجلاً أو أكثر بحيث يتكلم كل واحد بحرف ثم ينطقون في وقت واحد، **وقال:**

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ قَالِ حَقِيقَةً ... «حَم» مَعَ «طَةَ» بغيرِ قِرَانِ
بَلْ أَحْرَفُ مَتَرْتَبَاتٌ مِثْلَمَا ... قَدْ رُتِّبَتْ فِي مَسْمَعِ الْإِنْسَانِ
وَقَتَانٍ فِي وَقْتٍ مُحَالٍ هَكَذَا ... حَرْفَانِ أَيْضًا يُوجَدَانِ فِي آنٍ
مِنْ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ بَلْ يُوجَدَانِ ... بِالرَّسْمِ أَوْ بِتَكَلُّمِ الرَّجُلَانِ
هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ أَمَا الْأَقْتِرَا ... نُنْفِيسٍ مَعْقُولًا لَدَى الْأَذْهَانِ

انتهى من «نونية ابن القيم».

(٢) يعني: الضَّلَال، السالمية: أهل الكلام، وبعض الصوفية.

(٣) معناه: أنهم يعتقدون أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما يتكلم متى شاء، وكيف شاء، يقولون: ما كان متكلماً ثم تكلم فحدثت له صفة قبل أن يكون متصفاً بها، وهذا تعطيل.

وَسَادِسُهَا: أَنَّ كَلَامَهُ يَرْجِعُ إِلَى مَا يُجَدِّثُهُ مِنْ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ الْقَائِمِ بِذَاتِهِ ^(١)، وَهَذَا يَقُولُهُ صَاحِبُ «الْمُعْتَبَرِ» ^(٢)، وَيَمِيلُ إِلَيْهِ الرَّازِيُّ فِي «الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ».

وَسَابِعُهَا: أَنَّ كَلَامَهُ يَتَّصِفُ بِمَعْنَى قَائِمًا بِذَاتِهِ هُوَ مَا خَلَقَهُ فِي غَيْرِهِ ^(٣)، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي مَنْصُورٍ الْمَاتَرِيدِيِّ ^(٤).

وَأَمَّا ثَمَانِيهَا: أَنَّهُ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ الْقَائِمِ بِالذَّاتِ وَيَبْنَى مَا يَخْلُقُهُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْوَاتِ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْمَعَالِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ ^(٥).

وَتَاسِعُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ، وَمَتَى شَاءَ، وَكَيْفَ شَاءَ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِهِ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ، وَأَنَّ نَوْعَ الْكَلَامِ قَدِيمٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الصَّوْتُ الْمُعَيَّنُ قَدِيمًا، وَهَذَا الْمَأْثُورُ عَنْ أَيْمَةَ الْحَدِيثِ وَالسُّنَنِ ^(٦). اهـ.

(١) أي: أن كلام الله هو: علم الله، فليس هذا الذي في المصحف كلام الله، وهذا تعطيل.

(٢) صاحب «المعتبر في الحكمة»: أبو البركات، هبة الله بن علي بن ملكا، مترجم في «السير» للذهبي.

(٣) ومعنى هذا: أن القرآن بمعنى الكلام النفسي، أي: القائم بذات الله تعالى، هذا غير مخلوق، وأما القرآن الموجود بين الناس بحرف وصوت الذي في المصحف حادث مخلوق.

(٤) إليه تنسب الفرقة الماتريدية.

(٥) من الأشاعر وهذا قولهم.

(٦) بمعنى: أنه يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء. قديم باعتبار نوعه، وحادث باعتبار آحاده.

هذا وقد أجمع السلف رضوان الله عليهم على إثبات صفة الكلام لله، ومن نقل الإجماع على ذلك شيخ الإسلام وغيره، بناء على ما دل عليه قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء: ١٦٤]، ودل عليه قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾** [الأعراف: ١٤٨]، أي: أن هذه صفة سلب وضعف، فتعطيل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن ذلك تعطيل لصفة من صفاته، وأن المتكلم أكمل من غير المتكلم، وقوله تعالى: **﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾** مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا **﴿﴾** [الكهف: ٤-٥]، قال: فهتان الآيتان ظاهرتان في كون الكلام هو اللفظ والمعنى جميعًا الخارج من الأفواه - أفواه العباد -، وكلام الله يتكلم كيف شاء بما شاء متى شاء، إلى كيفية قولاً. **لوقيل: كيف يتكلم؟** تقول: كيف مجهول، نؤمن أنه يتكلم، ولا يجوز أن تقول كيف؟

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح العقيدة الأصفهانية» (٣٢): وقد اتفق سلف الأمة

وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق. **اهـ.**

وقال أيضا كما «مجموع الفتاوى» (٢٨٤/٩): بَلْ نَقُولُ إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ

كَلَامًا قَائِمًا بِذَاتِهِ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ وَالْأُمَّةِ. **اهـ.**

وَقَرَّرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ تَكَلَّمَ بِصَوْتِ نَفْسِهِ، حَيْثُ قَالَ (٥٨٤/١٢):

وَاللَّهُ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ بِحُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ بِصَوْتِ نَفْسِهِ وَنَادَى مُوسَى بِصَوْتِ نَفْسِهِ؛ كَمَا ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ وَصَوْتُ الْعَبْدِ لَيْسَ هُوَ صَوْتُ الرَّبِّ وَلَا مِثْلُ صَوْتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]: لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.

وَقَدْ نَصَّ أئِمَّةُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأئِمَّةِ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يُنَادِي بِصَوْتِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ تَكَلَّمَ بِهِ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ (١) لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ كَلَامًا لِغَيْرِهِ لَا جِبْرِيْلَ وَلَا غَيْرَهُ، وَأَنَّ الْعِبَادَ يَقْرَأُونَ بِأَصْوَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ فَالْصَّوْتُ الْمَسْمُوعُ مِنَ الْعَبْدِ صَوْتُ الْقَارِي وَالْكَلامُ الْكَلَامُ الْبَارِي.

وقال (٥٨٥/١٢): وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ عَدَمَ الْفَرْقِ وَالْمُبَايَنَةَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَصِفَاتِهِ، وَالْمُخْلُوقِ وَصِفَاتِهِ، خَطَأً وَضَلَالًا لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأئِمَّتَيْهَا؛ بَلْ هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ صَوْتِ الرَّبِّ وَصَوْتِ الْعَبْدِ، وَمُتَّفِقُونَ أَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حُرُوفَهُ وَمَعَانِيَهُ، وَأَنَّهُ يُنَادِي عِبَادَهُ بِصَوْتِهِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَصْوَاتَ الْمَسْمُوعَةَ مِنَ الْقُرَّاءِ أَصْوَاتُ الْعِبَادِ وَعَلَى أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ أَصْوَاتِ

(١) يعني: هذه حروف، مثل يا: حرف نداء، ﴿يَلْمُوسَى﴾ [البقرة: ٥٥]، ﴿يَعْبُدِي﴾ [العنكبوت: ٥٦].

الْعِبَادِ وَلَا مِدَادِ الْمَصَاحِفِ (١) قَدِيمًا بَلِ الْقُرْآنُ مَكْتُوبٌ فِي مَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ مَقْرُوءٌ
بِأَلْسِنَتِهِمْ مَحْفُوظٌ بِقُلُوبِهِمْ وَهُوَ كُلُّهُ كَلَامُ اللَّهِ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٣٢/٦): أَنَّ مَفْسَّرِي الْقُرْآنِ وَأَهْلَ السَّنَنِ وَالْأَنْبَارِ وَأَتْبَاعَهُمْ مِنْ
السَّلَفِ: كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى بِصَوْتٍ. اهـ.

وحكى انعقاد الإجماع بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً:

قال (٤٠/١٢): وَالنِّدَاءُ، بِاتِّفَاقِ أَهْلِ اللُّغَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا صَوْتًا مَسْمُوعًا فَهَذَا مِمَّا
اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْمُسْلِمِينَ وَجَمُّهُورُهُمْ.

وَأَهْلُ الْكِتَابِ يَقُولُونَ: إِنَّ مُوسَى نَادَاهُ رَبُّهُ نِدَاءً سَمِعَهُ بِأُذُنِهِ، وَنَادَاهُ بِصَوْتٍ سَمِعَهُ
مُوسَى، وَالصَّوْتُ لَا يَكُونُ إِلَّا كَلَامًا وَالْكَلامُ لَا يَكُونُ إِلَّا حُرُوفًا مَنْظُومَةً. اهـ.

وقال في «الفتاوى الكبرى» (٥٢٤/٦): وَمَنْ تَأَمَّلَ كَلَامَ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ، وَمَا نُقِلَ عَنْ
الْأَنْبِيَاءِ بِالتَّوَاتُرِ، عَلِمَ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّهُمْ إِذَا وَصَفُوا اللَّهَ بِالْكَلامِ وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ هُوَ
يَتَكَلَّمُ لَا أَنَّ الْكَلامَ يَكُونُ مَخْلُوقًا. اهـ.

وقال: اتفق السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ على إثبات صفة الكلام لله حقيقة على الوجه
اللائق به، وأنه يتكلم متى شاء، كيف شاء، بما شاء، بحرف وصوت يسمع. اهـ.

(١) المداد مخلوق، والورق مخلوق، والكلام كلام الله، والصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري.

ومن ذلك ما حكاه الدارمي في معرض إثبات سماع موسى لكلام الله سبحانه، حيث قال في «نقضه على المريسي» (٣١٩): أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ فِي كِتَابِهِ لِمَا أَنَّ الْعِلْمَ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ قَدْ أَحَاطَ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ اللَّهِ بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرَ مُوسَى، فَحِينَ أَحَاطَ الْعِلْمُ بِذَلِكَ عَلِمْنَا. اهـ.

وقال ابن أبي نزمين في «أصول السنة» (١١٧): وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسْأَلُهُمْ مُشَافَهَةً مِنْهُ إِلَيْهِمْ. اهـ.

ونقل قوام السنة الأصبهاني في كتاب «الحجة في بيان المحجة» له، عقيدة أبي منصور بن أحمد والتي تضمنت مجمل اعتقاد أهل السنة.

هذا الذي قرأناه قصدنا بذلك تصريح الأئمة بالإجماع، وأنه لا يعتبر قول من قال بخلاف هذا القول ناقصاً؛ لأنها أقوال تخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأقوالهم باطلة، من خالف ذلك قوله باطل.

وقوله: «منه بدأ»:

حتى قال أيضاً ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الموضع:

وَقَوْلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ بَدَأَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا: - رَدُّ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ الْمُعْتَزَلَةَ تَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُ، كَمَا تَقَدَّمَ حِكَايَةَ قَوْلِهِمْ، قَالُوا: وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيفٍ، كَبَيْتِ اللَّهِ، وَنَاقَةِ اللَّهِ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ! وَقَوْلُهُمْ بَاطِلٌ. اهـ.

ومما يدل على: أنه منه بدأ، قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمانية: ١-٢]، وقول الله سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال الله تعالى: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١-٢]، منه بدأ.

وقَوْلُهُ: «وإليه يعودُ»: أي: أنه يُرفع، كما أنه منه بدأ - يقال: منه بدأ، ومنه بدأ - لهذه الأدلة، وقوله: إليه يعود، أي: في آخر الزمان يُرفع.

وقد بوب شيخنا **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتاب العلم من «جامعه» باب ذهاب العلم وساق في «سنن ابن ماجه» (٤٠٤٩)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «يُدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَكَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ** فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا»، فَقَالَ لَهُ صِلَةٌ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ (١) فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةٌ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا.

(١) ما عندهم قرآن، رُفِعَ الْقُرْآنُ.

وساق بعده حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَنظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ: أَيُرْفَعُ الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ، وَقَدْ عَلَّمْنَاهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتُ لَا أَظُنُّكَ مِنْ أَفْقِهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَقِيَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ شَدَادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: «وَهَلْ تَدْرِي مَا رَفَعَ الْعِلْمِ؟»، قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي. قَالَ: «ذَهَابُ أَوْعِيَّتِهِ»، قَالَ: «وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوَّلُ أَنْ يُرْفَعَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي. قَالَ: «الْحُشُوعُ، حَتَّى لَا تَكَادُ تَرَى خَاشِعًا».

فأثبت في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفع القرآن: «وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ»، يُرْفَعُ حَتَّى النَّاسِ لَا يَدْرُونَ لَا صَدَقَهُ وَلَا صِيَامَهُ، لَا يَدْرُونَ شَيْئًا؛ لِرَفْعِ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ أَيْضًا.

وأثبت بعده - في حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رفع العلم، وأول رفعه الخشوع، وهو دليل على رفع القرآن؛ لكن الأول أصرح، وجاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا نظير الأول.

«مِنْهُ بَدَأُ»: تكلم الله به بحرف وصوت، لا من الشجرة، وهذا رد على المعتزلة الذين يقولون: لم يبدو الكلام هذا منه، وإنما إضيف إليه إضافة مخلوق لخالقه:

كبيت الله، وناقاة الله، وعبد الله.

قال ابن العربي في «شرح الطحاوية» (١٧٤/١):

فَإِنَّ الْمُضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَعَانٍ وَأَعْيَانٌ، فَإِضَافَةٌ الْأَعْيَانِ إِلَى اللَّهِ لِلتَّشْرِيفِ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لَهُ، كَبَيْتِ اللَّهِ، وَنَاقَةِ اللَّهِ، بِخِلَافِ إِضَافَةِ الْمُعَانِي، كَعَلْمِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَعَزَّتِهِ، وَجَلَالِهِ، وَكِبْرِيائِهِ، وَكَلَامِهِ وَحَيَاتِهِ، وَعُلُوِّهِ، وَقَهْرِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ مِنْ صِفَاتِهِ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَخْلُوقًا.

وَالْوَصْفُ بِالتَّكْلُمِ مِنْ أَوْصَافِ الْكَمَالِ (١)، وَضِدُّهُ مِنْ أَوْصَافِ النَّقْصِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فَكَانَ عَبَادُ الْعِجْلِ مَعَ كُفْرِهِمْ أَعْرَفَ بِاللَّهِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا لِمُوسَى: وَرَبُّكَ لَا يَتَكَلَّمُ أَيْضًا.

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْعِجْلِ أَيْضًا: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]، فَعَلِمَ أَنَّ نَفْيَ رُجُوعِ الْقَوْلِ وَنَفْيِ التَّكْلُمِ نَقْصٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى عَدَمِ الْوَهِيَّةِ الْعِجْلِ.

(١) أي: أن الذين سلبوا عن الله هذه الصفة سلبوا صفة الكمال لله تعالى.

وَعَايَةٌ شُبِّهَتْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَلْزَمُ مِنْهُ التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ؟

فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا قُلْنَا أَنَّهُ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ انْتَفَتْ شُبِّهَتْهُمْ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ [يس: ٦٥]، فَخَنُ نُوْمِنُ أَمَّا تَتَكَلَّمُ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ تَتَكَلَّمُ. وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدَتْهُ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، وَكَذَلِكَ تَسِيحُ الْحِصَا، وَالطَّعَامِ، وَسَلَامُ الْحَجَرِ، كُلُّ ذَلِكَ بِلَا فَمٍ يُخْرِجُ مِنْهُ الصَّوْتُ الصَّاعِدُ مِنَ الرَّئَةِ، الْمُعْتَمِدُ عَلَىٰ مَقَاطِعِ الْحُرُوفِ.

وَإِلَىٰ هَذَا أَشَارَ الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: (مِنْهُ بَدَأَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا) (١).

وَلَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ - أَحَدِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ -: أُرِيدُ أَنْ تَقْرَأَ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى) (٢)، بِنَصْبِ اسْمِ اللَّهِ، لِيَكُونَ مُوسَى هُوَ الْمُتَكَلِّمُ لَا اللَّهُ! فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: هَبْ أَيُّ قَرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ كَذَا، فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟! فَبِيْهَتِ الْمُعْتَرِي!ُ

(١) أي: نؤمن أنه تكلم، لكن لو قيل: ما الكيفية؟ نقول: لا يجوز هذا السؤال.

(٢) أي: أنه يريد أن يعطل الصفة، أي: أن موسى هو الذي كلم الله - لفظ الجلالة منصوب على التعظيم -، لا يريد أن يثبت صفة الكلام لله، وإنما أثبتته لموسى.

وَكَمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ دَلِيلٍ عَلَى تَكْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَغَيْرِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]، فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ إِذْ سَطَعَ هُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]، فَلَا يَلْتَمِثُونَ إِلَى شَيْءٍ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَخْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَتَبْقَى بَرَكَتُهُ وَنُورُهُ (١) عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ»، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُ.

وقال ابن أبي العز: وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَاقَ فِيهِ عِدَّةَ أَحَادِيثَ، فَأَفْضَلُ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ رُؤْيُهُ وَجْهَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَكْلِيمُهُ هُمْ، فَإِنْكَارُ ذَلِكَ إِنْكَارُ لِرُوحِ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى نَعِيمِهَا، وَأَفْضَلِهِ الَّذِي مَا طَابَتْ لِأَهْلِهَا إِلَّا بِهِ. اهـ.

وبوب البخاري في «صحيحه» في كتاب التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَاقَ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ

(١) ما عليك من هذا اللفظ؛ ولكن الأدلة ثابتة من غيره، قوله: ﴿أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وقوله: ﴿وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، أي: الذين لا يريد الله أن يكلمهم.

يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وساق بعده حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوْلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَرْعَ، فَأَسْرَعَ وَبَدَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَحِدْ هَذَا إِلَّا فُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ.

وبوب شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٣٧٩/٦)، في كتاب التوحيد، باب صفة الكلام، وساق عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي»، وهو حديث صحيح.

وساق حديث عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: لَا أَقُولُ الْيَوْمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَّبِعُوا بَيْتًا مِنْ جَهَنَّمَ»، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ أَحَدُهُمَا مِنْ

اللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطَّهْوَرِ وَعَلَيْهِ عُقْدٌ فَيَتَوَضَّأُ، فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، **فَيَقُولُ اللَّهُ لِلَّذِينَ وَرَاءَ الْحِجَابِ: انظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ يَسْأَلُنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي فَهُوَ لَهُ.**

وسائر الأحاديث القدسية من هذا الباب، وسائر ما تراه في كتاب الله من إثبات القول، كلها من هذا الباب في إثبات الكلام لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والقول، والحرف، والصوت.

وساق عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَدَمَ: قُمْ فَجَهِّزْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتَسْعِينَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدًا إِلَى الْجَنَّةِ»**، فَبَكَى أَصْحَابُهُ وَبَكَوْا.

وساق في الباب أيضًا حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** **يُحْكِي عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»**، الحديث قدسي، وكل الأحاديث القدسية يستدل بها أنه كلام الله، سائر ما دل عليه: (قال الله، ويقول الله)، وما كان من ذلك في إثبات الكلام لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وساق حديث حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ:

«إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللهُ مَا لَا وَوَلَدًا...»، وفيه أيضًا: «فَإِذَا هُوَ فِي قَبْضَةِ اللهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَخَافَتِكَ. قَالَ: فَتَلَا فَاهُ اللهُ بِهَا».

وحدیث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأُ قَلْبَكَ غِنَى وَأَمْلَأُ يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَمْلَأُ قَلْبَكَ فَقْرًا وَأَمْلَأُ يَدَيْكَ شُغْلًا».

(يا): حرف نداء، و(ابن): منادى، وسمعه ابن آدم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ، يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنِّيهِ».

وحدیث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيضًا، فِي حَدِيثٍ: (يَوْمَ الْمَزِيدِ)، وَإِنْ كَانَ فِيهِ إِعْلَالٌ؛ لَكِنْ لَهُ شَوَاهِدٌ ذَكَرْنَاهَا فِي «أَحْكَامِ الْجُمُعَةِ وَبَدْعِهَا»، وَفِيهِ: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَنْزِلُ اللهُ فِيهِ، فَوُضِعَتْ فِيهِ مَنَابِرٌ مِنْ ذَهَبٍ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَكَرَاسِيٌّ مِنْ دُرٍّ لِلشُّهَدَاءِ، وَيَنْزِلْنَ الْحُورُ الْعِينُ مِنَ الْعُرْفِ فَحَمِدُوا اللهَ وَجَدُّوهُ، قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: اكْسُوا عِبَادِي، فَيَكْسُونَ، وَيَقُولُ: أَطْعِمُوا عِبَادِي، فَيُطْعَمُونَ، وَيَقُولُ: اسْقُوا عِبَادِي، فَيَسْقُونَ، وَيَقُولُ: طَيِّبُوا عِبَادِي فَيُطَيَّبُونَ، ثُمَّ يَقُولُ: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رِضْوَانُكَ»، قَالَ: «يَقُولُ: رَضِيتُ عَنْكُمْ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ فَيَنْطَلِقُونَ»، الْحَدِيثُ.

وهكذا عَنْ ابْنِ عُمَرَ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - **فِيمَا يَحْكِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ** - قَالَ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجِعَهُ إِنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ وَرَحِمْتُهُ**»، حديث قدسي من كلام الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، تكلم بلفظه ومعناه، وهذا القول الصحيح في الحديث القدسي، إنها الفوارق الأخرى التي تُثَبَّتُ أَنَّهُ يُصَلَى بِالْقُرْآنِ، وَلَا يُصَلَى بِالْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ، وَأَنَّهُ يُؤْجَرُ عَلَى الْقُرْآنِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَالْحَدِيثُ الْقَدْسِيُّ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مَتَوَاتِرًا، وَالْحَدِيثَ حِجَّةً وَلَوْ لَمْ يَتَوَاتَرَ، وَالْمَتَوَاتِرُ مِنَ السَّنَةِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، وَمَنْ الْمُنْسُوبُ قَدْسِيًّا مَا هُوَ صَحِيحٌ وَمِنْهُ مَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ .

وحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ**، يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ فَإِذَا لَقِنَ اللَّهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ قَالَ يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَفَرَّقْتُ مِنَ النَّاسِ**» .

هذا وقد صُنِفَ فِي الْأَحَادِيثِ الْقَدْسِيَّةِ الثَّابِتَةِ مَجْلُدَانِ، كُلُّهُمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، بِكَلَامٍ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، يَسْمَعُهُ الْمُكَلَّمُ .

شبهات القائلين بخلق القرآن

فإنه ما من مبطل إلا ويأتي له بشبهات يتشبه بها؛ قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْثُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ آيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]»^(١).

فلهم عديد من الشبهات أبرزها ما يلي:

الشبهة الأولى

وهي قول الله عزَّجَلَّ: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، قالوا: القرآن شيء يدخل تحت هذا العموم.

وردَّ عليهم: بأن القرآن أمرٌ ليس بخلق، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وبالأمر يكون الخلق: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

الشبهة الثانية

قال الله عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

قالوا: القرآن مجعول، أي: بمعنى مخلوق. وردَّ على هذه الشبهة غير واحد من أهل العلم منهم:

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٦٤)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ابن أبي العزّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ:

وَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، فَمَا أَفْسَدَهُ مِنْ اسْتِدْلَالٍ! فَإِنَّ (جَعَلَ) إِذَا كَانَ بِمَعْنَى خَلَقَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣١].

وَإِذَا تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِمَعْنَى خَلَقَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْضُوا أَلَيْمِنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ (١) [النحل: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ (٢) [البقرة: ٢٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى

(١) هل يقال: إن الإنسان خلق ربه؟!، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ﴾ [النحل: ٩١]، أي: خلقتهم الله!.

(٢) فماذا سيقولون: (ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم!)، وهذه تعدت إلى مفعولين، هذا ذكره أهل العلم في هذه المسألة، أنها تأتي بمعنى خلق وتأتي بمعنى غيره، فما كان بمعنى خلق فيما يليق، وما كان بمعنى جعل (صير) فيما يليق كل بحسبه.

عُنُقِكَ ﴿ [الإسراء: ٢٩] (١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩]،
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ (٢) [الزخرف: ١٩]،
 وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ. فَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]. اهـ.

الشبهة الثالثة

قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿ [الشعراء: ٥]، قالوا: محدث، معناه: مخلوق حادث.

وأجاب أهل العلم، وسائر أهل التفسير، وممن ذكر ذلك شيخ الإسلام وغيره: أن محدث: بمعنى جديد، وليس بمعنى: مخلوق، فالقرآن متجدد.

الشبهة الرابعة

قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿ [الحاقة: ٤٠]، قالوا: فهذا يدل على أن

(١) أي: لا تصيرها، وليس معناه: تخلق يدك مغلولة إلى عنقك؛ لأنه هو نفسه مخلوق، فعندهم إذا تعدى إلى مفعول واحد صار بمعنى خلق، وإذا تعدى إلى مفعولين صارت بمعنى غير خلق؛ ولكن يقال هذا ضابط، وغيره من بابه أن كلاً بحسبه.

(٢) هل معناه: أنهم خلقوا الملائكة؟!، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، يعني: تخلقوا لله أنداداً!.

القرآن قول رسول كريم، ما هو قول الله، إما قول جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو قول محمد ﷺ.

وأجابوا عن ذلك: بأنه بلغه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة: ٤٠]، أي: مبلغ عن الله لا على أنه أتى بشيء غير البلاغ عن الله، فقد قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ط ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢]، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤١-٤٧].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح الطحاوية» (١/١٨٣):

قيل: ذكر الرسول مُعَرَّفٌ أَنَّهُ مَبْلُغٌ عَنْ مُرْسِلِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَنَّهُ قَوْلُ مَلِكٍ أَوْ نَبِيِّ، فَعِلْمٌ أَنَّهُ بَلَّغَهُ عَمَّنْ أَرْسَلَهُ بِهِ، لَا أَنَّهُ أَنْشَأَهُ مِنْ جِهَةٍ نَفْسِهِ.

وَأَيْضًا: فالرسول في إحدى الآيتين جبريل، وفي الأخرى محمد، فأضافته إلى كل منهما تبيين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يُحْدِثَهُ الْآخَرُ.

وَأَيْضًا: فقوله: رسول أمين، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أُرْسِلَ بِتَبْلِيغِهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ، بَلْ هُوَ أَمِينٌ عَلَى مَا أُرْسِلَ بِهِ، يُبَلِّغُهُ عَنْ مُرْسِلِهِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَّرَ مَنْ جَعَلَهُ قَوْلَ الْبَشَرِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ بَشَرٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ قَوْلَ مُحَمَّدٍ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَنْشَأَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ قَوْلُ بَشَرٍ، أَوْ جَنِّيٍّ، أَوْ مَلَكٍ، وَالْكَلَامُ كَلَامٌ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدَأًا، لَا مَنْ قَالَهُ مُبَلَّغًا.
وَمَنْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ:

قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمُنْزِلٍ

قَالَ: هَذَا شِعْرُ امْرِئِ الْقَيْسِ، وَمَنْ سَمِعَهُ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»، قَالَ: هَذَا كَلَامُ الرَّسُولِ، وَإِنْ سَمِعَهُ يَقُولُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٢ - ٥]، قَالَ: هَذَا كَلَامُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ عِنْدَهُ خَبْرٌ ذَلِكَ. اهـ.

وبالجملة: فأهل السنة كلهم من أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم من السلف والخلف: متفقون على أن كلام الله غير مخلوق وهذا إجماع سيأتي ذكر مصدره.

الشبهة الخامسة :

ومن شبهاتهم حديث: «وإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَا جِرٍ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِكَ».

هكذا استدلوا بهذا الحديث، قالوا: إنه إذا كان كذلك فهو مخلوق.

وأجاب أهل العلم: أنه يؤتى بثواب القرآن، يؤتى بأجر القرآن على صورة الشاحب اللون، كما جاء في الحديث: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدِيمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَأَلْ عِمْرَانَ»، - وَضَرَبَ هُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ -، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا».

من حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ: (٢٢٩٥٠)، وَالِدَارِمِيُّ (٣٥٩٤)، وَأَبُو عُبَيْدَةَ فِي «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ» (٨٤)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَصْنَفِ» (٤٢٦/١٦)، وَهُوَ فِي «السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٢٨٢٩).

وقال المحافظ ابن حجر في «المطالب العلية» (٣٤٧٨): هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ. اهـ.

وقال العيني في «الضعفاء» (١٤٤/١): وَلَا يَصِحُّ فِي هَذَا الْبَابِ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثٌ، أَسَانِيدُهَا كُلُّهَا مُتَقَارِبَةٌ. اهـ.

وذكره ابن عدي في منكرات بشير.

وقال المحاكم (٥٥٦/١): عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. اهـ. وسكت عنه الذهبي.

وقال البغوي (٤٥٤/٤): حسن غريب، **وقال في «التفسير» (٤/١):** غريب. اهـ.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤٣/١): وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. اهـ.

وقال الهيثمي في «جمع الزوائد» (١٦٢/٧): رَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. اهـ.

وقال البوصيري رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «الإتحاف» (١٨٩/٢): رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ

بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. اهـ.

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «اللائح المصنوعة» (٢٤٤/١): أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ

صَحِيحٍ. اهـ.

وقال ابن أبي العزيفي في «شرح الطحاوية» (٩٤/١): وَوَرَدَ فِي الْقُرْآنِ: أَنَّهُ يَأْتِي عَلَى صُورَةِ

الشَّابِّ الشَّاحِبِ اللَّوْنِ، الْحَدِيثَ أَي قِرَاءَةَ الْقَارِي. اهـ.

وقال ابن بطه في «الإبانة» (١٣٩/٦):

ثُمَّ إِنَّ الْجُهْمِيَّةَ لَجَأَتْ إِلَى الْمُغَالَطَةِ فِي أَحَادِيثَ تَأَوَّلُوهَا مَوْهُوا بِهَا عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ الْحَدِيثَ، مِثْلَ الْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ الْقُرْآنُ: أَنَا الَّذِي أَظْمَأْتُ مَهَارَكَ وَأَسَهَرْتُ لَيْلَكَ فَيَأْتِي اللهُ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ تَلَانِي وَوَعَانِي وَعَمَلِي بِي».

وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ: «تَجِيءُ الْبَقْرَةُ وَأَلْ عِمْرَانَ كَأُمَّهَاتِنِ»، فَأَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِهِ، وَإِنَّمَا عَنَى فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي قَوْلِهِ: يَجِيءُ الْقُرْآنُ وَتَجِيءُ الْبَقْرَةُ وَتَجِيءُ الصَّلَاةُ وَيَجِيءُ الصِّيَامُ، يَجِيءُ ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَكُلُّ هَذَا مُبَيَّنٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ اللهُ

عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ﴾

[الزلزلة: ٧]، فَظَاهِرُ اللَّفْظِ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لَيْسَ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَإِنَّمَا ثَوَابُهُمَا وَالْجُزَاءَ عَلَيْهِمَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وَلَيْسَ يَعْنِي أَنَّهَا تِلْكَ الْأَعْمَالُ الَّتِي عَمِلْتَهَا بِهَيْئَتِهَا وَكَمَا عَمِلْتَهَا مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا تَجِدُ الْجُزَاءَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، فَيَجُوزُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: يَجِيءُ الْقُرْآنُ، تَجِيءُ الصَّلَاةُ، وَتَجِيءُ الزَّكَاةُ، يَجِيءُ الصَّبْرُ، يَجِيءُ الشُّكْرُ، وَإِنَّمَا يَجِيءُ ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ يُجْزَى مَنْ عَمِلَ السَّيِّئَ بِالسُّوءِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨]، أَفَتَرَى يَرَى السَّرِيفَةَ، وَالزَّانَا، وَشَرِبَ الْحُمُرِ، وَسَائِرِ أَعْمَالِ الْمَعَاصِي، إِنَّمَا يَرَى الْعِقَابَ، وَالْعَذَابَ عَلَيْهِمَا. اهـ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٤٠٨/٨):

وَلَمَّا اخْتَجَّ الْجُهْمِيَّةَ عَلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَأْتِي الْبَقْرَةُ وَأَلْ عِمْرَانُ كَأُمَّهَاتِنِ أَوْ غِيَابَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ وَيَأْتِي الْقُرْآنُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الشَّاحِبِ»، وَنَحْوُ ذَلِكَ قَالُوا: وَمَنْ يَأْتِي وَيَذْهَبُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَخْلُوقًا.

أَجَابَهُمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ، بِقَوْلِهِ:

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]،
 وَقَالَ: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢].

وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يَكُنْ هَذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ بِالِاتِّفَاقِ بَلْ قَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ:
 جَاءَ أَمْرُهُ وَهَكَذَا تَقَوْلُهُ الْمُعْتَرِ لَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ
 عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِمَجِيئِهِ مَجِيءُ أَمْرِهِ فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَأَوَّلَ مَجِيءُ الْقُرْآنِ عَلَى مَجِيءِ
 ثَوَابِهِ؟ وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَجِيءُ الْبَقْرَةُ وَأَلْ عِمْرَانُ بِمَجِيءِ ثَوَابِهَا وَثَوَابِهَا مَخْلُوقٌ.
 وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرَ وَاحِدٍ وَبَيَّنَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «تَجِيءُ الْبَقْرَةُ وَأَلْ عِمْرَانُ»
 أَي: ثَوَابِهَا لِيُجِيبُوا الْجَهْمِيَّةَ الَّذِينَ احْتَجُّوا بِمَجِيءِ الْقُرْآنِ وَإِتْيَانِهِ عَلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ
 فَلَوْ كَانَ الثَّوَابُ أَيْضًا الَّذِي يَجِيءُ فِي صُورَةِ غَمَامَةٍ أَوْ صُورَةِ شَابٍّ غَيْرِ مَخْلُوقٍ لَمْ
 يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالثَّوَابِ وَلَا كَانَ حَاجَةً إِلَى أَنْ يَقُولُوا: يَجِيءُ ثَوَابُهُ؟ وَلَا كَانَ
 جَوَابُهُمْ لِلْجَهْمِيَّةِ صَحِيحٌ بَلْ كَانَتْ الْجَهْمِيَّةُ تَقُولُ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛
 وَأَنَّ ثَوَابَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَلَا يَنْفَعُكُمْ هَذَا الْجَوَابُ.

فَعَلِمَ أَنَّ أَيْمَةَ السُّنَّةِ مَعَ الْجَهْمِيَّةِ كَانُوا مُتَّفِقِينَ عَلَى أَنَّ ثَوَابَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ
 مَخْلُوقٌ فَكَيْفَ يَكُونُ ثَوَابُ سَائِرِ الْأَعْمَالِ؛ وَهَذَا بَيِّنٌ فَإِنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ هُوَ مَا
 وَعَدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ وَأَوْعَدَهُمْ بِهِ؛ فَالثَّوَابُ هُوَ الْجَنَّةُ بِمَا فِيهَا؛ وَالْعِقَابُ هُوَ النَّارُ بِمَا
 فِيهَا؛ وَالْجَنَّةُ بِمَا فِيهَا مَخْلُوقٌ وَالنَّارُ بِمَا فِيهَا مَخْلُوقٌ وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ هَذِهِ الْحُجَّةَ
 فِيمَا كَتَبَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ. اهـ.

ولنا بحث مختصر منشور يتعلق بهذا العنوان: «البيان لحديث آية الكرسي لها لسان وشفتان»، قلت فيه:

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ (٨١٠): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنِ أَبِي السَّلِيلِ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهُ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (١٧٨)، وأبو نعيم في «المستخرج على مسلم» (١٨٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٩٥)، من طريق ابن أبي شيبة به بزيادة: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لِلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدَّسُ الْمَلِكُ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»، وهو بهذه الزيادة في «مسند ابن أبي شيبة»، أيضاً كما قال عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام الكبرى» (٣١/٤).

ولم ينفرد بهذه الزيادة ابن أبي شيبة عن عبد الأعلى، فقد تابعه محمد بن المثنى عند ابن عساكر في «تاريخه» (٣٣٠/٧).

وتابعهما صالح بن عبد الله بن ذكوان الباهلي، أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (١٣٦٠).

ولم ينفرد بها عبد الأعلى فقد تابعه سفيان الثوري عن الجريري بهذه الزيادة
أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٧٠/٣)، وأحمد (١٤١/٥)، وابن الضريس في
«فضائل القرآن» (١٨٦)، وأبو عوانه في «مسنده» (٤٣٧٨)، والبيهقي في «الصغرى»
بتحقيقنا (٤٤٣).

والحديث صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٣٤١٠) بهذه
الزيادة، وهو صحيح كما قال، فإنه عند مسلم كما تراه، وإن كان قد ترك الزيادة
فلعل عبد الأعلى شيخ ابن أبي شيبة رواها على الوجهين، فتارة يذكرها كما هو
هنا، وتارة لا يذكرها كما هو عند مسلم، ورواه عنه تلاميذه كابن أبي شيبة، ومحمد
بن المثني على الوجهين كما أخرجه أبو داود (١٤٦٠).

وفيه اختلاف لا يضره، فقد رواه ابن عليه فيما أخرجه عنه أبو عبيد في
«فضائل القرآن» (٢٢٩)، فقال: عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي السَّلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
رَبَاحٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ، مَرْسَلًا.

ورواه عثمان بن غياث، عن أبي السليل، كَانَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،
مرسلاً، أخرجه أحمد (٥/٥٨)، ومُسَدَّدٌ كما في «إتحاف الخيرة» (٥٦٣٢).

معنى الحديث:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، على هذا الحديث في «بيان تلبس الجهمية»

(٢٨٠/٦): لفظ الحديث الذي ذكر عن أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ما رواه مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن رباح، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟»، قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري، وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر».

رواه أبو داود في «سننه»، والإمام أحمد في «مسنده»، زاد أبو مسعود الدمشقي «صاحب أطراف البخاري ومسلم»: «والذي نفسي بيده إن هذه الآية لسائنا وشفتين تقدر الملك عند ساق العرش»، لكن هذه الزيادة ليست موجودة فيما بأيدي الناس من «صحيح مسلم»؛ لكن رواها الإمام أحمد، عن أبي بكر بن أبي شيبة، ورواها ابن أبي شيبة في «مصنفه»، ذكر هذا عبد الحق في «الجمع بين الصحيحين»، والقول في ذلك كالتقول فيما تقدم من مجيء القرآن، والأعمال الصالحة كما تقدم بيانه.

ونظير ذلك ما ورد من أن للكلم الطيب حول العرش دويًا، كما ورد: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر إن لها دويًا حول العرش تذكر بصاحبها»، وما يشبه هذا ما روي عن عبد الله بن مسعود قال قال النبي ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

قال الترمذي: حديث حسن.

فمعلوم أنه ليس المعنى الظاهر من هذا الباب أن نفس العمل أو القول الذي يقوم بالقائل، والقائل هو نفس شجر الجنة؛ ولكن يظهر منه أن هذا الكلام يصير منه شجر في الجنة، فيغرسه الله غراسًا في الجنة كلما تكلم العبد بهذه الكلمات، غرس له غراس، هذا هو المعنى الذي يظهر منه، سواء كان الله تعالى يصور نفس هذا العمل ذلك الغراس، كما يصور من الحب والنوى شجرًا، ومن المني حيوانًا، أو كان بذلك العمل يخلق شجرًا وإن لم يكن من نفسه. اهـ.

قُلْتُ: فمعناه أن ثواب قراءة آية الكرسي هو الذي يخلق الله منه ما يقدر تحت العرش بلسان وشفقتين، ونظير ذلك حديث النَّوَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم (٨٠٥)، قال: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَأَلْ عِمْرَانَ»، وَصَرَبَ هُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظِلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا».

وحديث: بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارَكَ».

أخرجه ابن ماجه (٣٧٨١)، وأحمد (٣٥٢، ٣٤٨/٥)، وغيرهم، وحسنه الحافظ ابن

كثير في «تفسيره» أول سورة البقرة (٦٢/١)، وتقدم قبل صفحات.

قال الإمام أحمد في «الرد على المجهمية» (١٦٦):

فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث، فقلنا لهم: القرآن لا يجيء إلا بمعنى: أنه قد جاء من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، فله كذا وكذا. ألا ترون أن من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، لا يجئته إلا بثوابه؛ لأننا نقرأ القرآن فيقول: يا رب. لأن كلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال. وإنما معنى: (أن القرآن يجيء) إنما يجيء ثواب القرآن. يا رب. اهـ.

قال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٤١٠/٨): فَبَيَّنَ أَحْمَدُ أَنَّ الثَّوَابَ هُوَ الَّذِي

يَجِيءُ؛ وَهُوَ الْمَخْلُوقُ مِنَ الْعَمَلِ. اهـ.

قال ابن بطه في «الإبانة» (٢٠٢/٢-٢٠٥):

وَإِنَّمَا عَنَى فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي قَوْلِهِ: (يَجِيءُ الْقُرْآنُ، وَتَجِيءُ الْبَقَرَةُ، وَتَجِيءُ الصَّلَاةُ، وَيَجِيءُ الصِّيَامُ)، يَجِيءُ ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَكُلُّ هَذَا مُبَيَّنٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧].

فَظَاهِرُ اللَّفْظِ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لَيْسَ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَإِنَّمَا ثَوَابُهُمَا وَالْجَزَاءُ عَلَيْهِمَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، كَمَا قَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ

خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠].

وَلَيْسَ يَعْنِي أَنَّهَا تِلْكَ الْأَعْمَالُ الَّتِي عَمِلْتَهَا بِهَيْئَتِهَا وَكَمَا عَمِلْتَهَا مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا تَجِدُ الْجُزْءَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، فَيَجُوزُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: (يَجِيءُ الْقُرْآنُ، تَجِيءُ الصَّلَاةُ، وَتَجِيءُ الزَّكَاةُ، يَجِيءُ الصَّبْرُ، يَجِيءُ الشُّكْرُ)، وَإِنَّمَا يَجِيءُ ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ يُجْزَى مَنْ عَمِلَ السَّيِّئَ بِالسُّوءِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨]، أَفَتَرَى يَرَى السَّرِقَةَ وَالزَّانَا وَشَرِبَ الْخَمْرِ وَسَائِرِ أَعْمَالِ الْمُعَاصِي إِنَّمَا يَرَى الْعِقَابَ وَالْعَذَابَ عَلَيْهِمَا، وَيَبَيِّنُ هَذَا وَأَمْثَالَهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا. اهـ.

قال الدارمي في «نقضه على المريسي» (٥٦٩/١):

فَقَدْ فَسَّرْنَا هَذَا هَذَا الْمُعْجَبِ بِجَهَالَتِهِ فِي كِتَابِنَا هَذَا: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ، وَلَا جِسْمٌ، وَلَا يَتَحَوَّلُ صُورَةً أَبَدًا، لَهُ فَمٌ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ وَيَشْفَعُ. فَقَدْ عَقِلَ ذَلِكَ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا كَانَ الْمُعْقُولُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ ثَوَابٌ يَصُورُهُ اللَّهُ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ، جَزَاءً لَهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي قَرَأُوهُ، وَاتَّبَعُوا مَا فِيهِ، لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَفْسُ الْقُرْآنِ كَلَامٌ غَيْرُ مَجْسَمٍ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، إِنَّمَا يَحْسَنُ بِهِ إِذَا قُرِئَ، فَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ الْقِرَاءَةُ لَمْ يُوقَفْ لَهُ عَلَى جِسْمٍ وَلَا صُورَةٍ، إِلَّا أَنْ يُرْسَمَ بِكِتَابٍ. هَذَا مَعْقُولٌ لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا كُلُّ جَهُولٍ.

قَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّكُمْ تُغَالِطُونَ، وَالْعُلَمَاءُ بِمُغَالِطَتِكُمْ عَالِمُونَ
وَلِضَلَالَتِكُمْ مُبْطَلُونَ، وَيَكْفِي الْعَاقِلَ أَقْلٌ مِمَّا بَيْنَا وَشَرَحْنَا عَنْ مَذَاهِبِكُمْ غَيْرَ أَنَّ فِي
تَكَرُّيرِ الْبَيَانِ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ. اهـ المراد.

الشبهة السادسة:

وقالوا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، أي: مخلوق.

أجاب عن هذا شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٣١١/٨)، قَالَ:

وَهَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا هَؤُلَاءِ تَضَمَّنَتْ الشَّرْعَ وَهُوَ الْأَمْرُ وَالْقَدْرُ وَقَدْ ضَلَّ
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَرِيقَانِ:

• (الْجَهْمِيَّة) الَّذِينَ يَقُولُونَ: كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وَيَقُولُونَ: مَا كَانَ مَقْدُورًا فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

• وَهَؤُلَاءِ (الْخُلُولِيَّة) الضَّالُّونَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِعْلَ الْعِبَادِ قَدِيمًا بِأَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ

وَقَدْرُهُ وَأَمْرُهُ وَقَدْرُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَمَثَارُ الشُّبْهَةِ أَنَّ اسْمَ (الْقَدْرِ)، وَ(الْأَمْرِ)، وَ(الشَّرْعِ): يُرَادُ بِهِ الْمَصْدَرُ وَيُرَادُ

بِهِ الْمَفْعُولُ فَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، الْمُرَادُ بِهِ

الْمَأْمُورُ بِهِ الْمَقْدُورُ وَهَذَا مَخْلُوقٌ. اهـ.

الشبهة السابعة:

وقالوا: إِنَّ عِيسَى جَاءَ فِيهِ أَنَّهُ كَلِمَتُهُ: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]، فعيسى من كلام الله، وهو مخلوق.

وأجابوا: بَأَنَّ مَعْنَى ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾: كَانَ بِكَلِمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، فَآدَمُ كَانَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَعِيسَى كَانَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]، أَي: أَنَّهُ أَلْقَاهَا، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وهناك شبهات أوهى من هذه، قالوا في معنى الآية: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قالوا: جرحه بأظايف الحكمة، وأشياء من هذه التأويلات الباطلة لا نحتاج إلى أن نستوعبها.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ»: هَذَا نَقَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ الْإِجْمَاعِ.

قال ابن أبي نزيم في «أصول السنة» (٨٢):

وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ، لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ. اهـ.

وقال القاضي عياض في «الشفنا بتعرف حقوق المصطفى» (٦٤٧/٢):

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمُنْتَلَوَّ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ الْمَكْتُوبَ فِي
 الْمُصْحَفِ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِمَّا جَمَعَهُ الدَّفْتَانِ مِنْ أَوَّلِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، إِلَى آخِرِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: ١]، أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ،
 وَوَحْيُهُ الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَقٌّ.
 وَأَنَّ مَنْ نَقَصَ مِنْهُ حَرْفًا قَاصِدًا لِذَلِكَ، أَوْ بَدَّلَهُ بِحَرْفٍ آخَرَ مَكَانَهُ، أَوْ زَادَ فِيهِ
 حَرْفًا مِمَّا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ الْمُصْحَفُ الَّذِي وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ.
 وَأَجْمَعَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ عَامِدًا لِكُلِّ هَذَا: أَنَّهُ كَافِرٌ. اهـ.

وقال ابن قدامة المقدسي في «المعة الاعتقاد»:

وَمِنْ (١) كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ
 الْمُبِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ
 سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (٢)، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَهُوَ

(١) (من) أي: أنه ليس حصراً لكلام الله.

(٢) وهذا أيضاً مما يجب اعتقاده أنه بلسان عربي، وأنه لا يجوز إعجمه، والترجمة تكون لمعانيه لا للفظه.

سُورٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرٌ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ (١)، مَتَلُّوْا بِالْأَلْسِنَةِ، مُحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْأَذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وقال: وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلُّهُ)، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُورِ الْقُرْآنِ، وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَحُرُوفِهِ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ. اهـ.

تفاضل القرآن

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٩/١٧): قَدْ عَلِمَ أَنَّ تَفَاضَلَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ لَيْسَ بِاعْتِبَارِ نِسْبَتِهِ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ وَلَكِنْ بِاعْتِبَارِ مَعَانِيهِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا وَبِاعْتِبَارِ أَلْفَاظِهِ الْمُبِينَةِ لِمَعَانِيهِ.

وَالَّذِي قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فَضَّلَ مِنَ السُّورِ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ وَقَالَ: «إِنَّهُ

(١) ويتفاضل أيضًا، فأية الكرسي أفضل آية، والفاتحة أفضل سورة، كما دلَّت على ذلك من الأحاديث.

لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا»، وَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَى مَعَانِيهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَفَضَّلَ مِنَ الْآيَاتِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ، «أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، «فَضْرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ لِيَهْنِكِ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ وَاحِدَةٌ تَضَمَّنَتْ مَا تَضَمَّنَتْهُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْحَدِيدِ وَآخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ عِدَّةَ آيَاتٍ لَا آيَةَ وَاحِدَةً... اهـ.

والإجماع القائم على كفر من قال: بأن القرآن ليس من كلام الله، وأنه مخلوق، ذلك لأن هذا القول تكذيب للقرآن، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿الْأَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالكتب المنزلة، كلام الله، وأفضلها: القرآن، وهو دليل على أن كلام الله تعالى يتفاضل.

لوازم القول بخلق القرآن

• أنه يقتضي رد القرآن، ومن ردَّ حرفاً من القرآن فقد كفر، كما نقله القاضي

عياض وغيره، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ وَالْآيَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

- ويلزم من ذلك أن القرآن ليس بحجة، يعني: أنه لو كان مخلوقاً ما كان بحجة.
- وأن الله عزَّجَلَّ لم ينزل حجة على العباد، وترك عباده سدى هملاً، وهذا تكذيب للقرآن بأنه حجة وأن الله أقام شرعه ودينه للعباد، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿الْمَصِّ ۝ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

- ومن لوازم هذا القول الكفري، أن امتهان القرآن لا محصور فيه، ما يكون القرآن بهذه العظمة، وهذا تكذيب للقرآن العظيم، وأوصاف القرآن صنَّف فيها: عظيمٌ، كريمٌ، مجيدٌ، وغير ذلك من الأوصاف، فلو ألقي القرآن في المزابل أو داس عليه شخص أو ألقي في أماكن قضاء الحاجة أو شيء من ذلك، عندهم الأمر سهل في ذلك؛ لأنه ما هو معظم، وهذا قول كفري كما سبق.

• ومما يتضمنه هذا القول الفاسد أن القرآن مخلوق، نفي صفات الله سبحانه، والطعن في رب العالمين، وتنقصه، بوصفه أنه مخلوق إذ أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فلو كانت صفات الله مخلوقة وكلام الله مخلوق معناه: أن الله مخلوق، وهو تكذيب للقرآن، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿الْأَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ولهذا سبق نقل الإجماع على كفرهم، وممن نقله اللالكائي، وابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**، والطبراني، وجماعة، إضافة إلى من سبق حتى قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ حَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبِلْدَانِ
وَاللَّالِكَائِي الْإِمَامَ حَكَاهُ عَنْهُمْ ... بَلْ قَدْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

فإذا تصورت هذا القول: (بأن القرآن ليس بكلام الله، وأنه مخلوق)، تصورت ما يتضمنه من فساد ولوازم، تبين لك كفر من قال بهذا القول.



قال سفیان الثوري رَحِمَهُ اللهُ:

٢- والإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ، يزيدُ وينقصُ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصية، ولا يجوزُ القولُ إلا بالعملِ، ولا يجوزُ القولُ والعملُ إلا بالنية، ولا يجوزُ القولُ والعملُ والنيةُ إلا بموافقةِ السُّنةِ.

الشرح

هذه الفقرة الثانية: (والإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ) وعلى هذا نقل إجماع أهل العلم، إلا من شدَّ من أهل الأهواء كما سيأتي ذكر مصادره.

وتعريف الإيمان، كما قال ابن فارس في «مقاييس اللغة»:

(أَمَنَ) الْهُمَزَةُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحَدُهُمَا الْأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ، وَمَعْنَاهَا: سُكُونُ الْقَلْبِ، وَالْآخَرُ: التَّصْدِيقُ. اهـ.

ويقولون باختصار: الإيمان لغة، هو ليس مجرد التصديق، كما يقوله جمهور اللُّغويين، مستدلين بهذه الآية: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]؛ ولكنه التصديق بالشيء عن إقرار به، واعتقاد، وعمل، فالتصديق بالصدق وبالكذب، وقد انتقد شيخ الإسلام من عرفه بالتصديق مطلقاً.

فقال كما في «المجموع الفتاوى» (٥٢٩/٧): وَلَيْسَ لَفْظُ الْإِيمَانِ مُرَادِفًا لِلْفِظِّ التَّصْدِيقِ كَمَا يَظُنُّهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ التَّصْدِيقَ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ خَبَرٍ. اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «كِتَابِ الصَّلَاةِ» (٢٥): فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِمَجْرَدِ التَّصَدِيقِ

كَمَا تَقْدَمُ بَيَانُهُ وَإِنَّمَا هُوَ التَّصَدِيقُ الْمُسْتَلْزَمُ لِلطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ. اهـ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي «تَهْدِيبِ اللُّغَةِ»: الْإِيمَانُ: مَصْدَرٌ آمَنَ يُؤْمِنُ إِيمَانًا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ. اهـ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»، - عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾

[البقرة: ٣] -: وَمَعْنَى الْإِيمَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ: التَّصَدِيقُ فَيُدْعَى الْمُصَدِّقُ بِالشَّيْءِ قَوْلًا مُؤْمِنًا بِهِ، وَيُدْعَى الْمُصَدِّقُ قَوْلُهُ بِفِعْلِهِ مُؤْمِنًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، يَعْنِي: وَمَا أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ لَنَا فِي قَوْلِنَا، وَقَدْ تَدَخَّلَ الْحُشْيَةُ لِلَّهِ فِي مَعْنَى الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ تَصَدِيقُ الْقَوْلِ بِالْعَمَلِ. اهـ.

قال شيخ الإسلام فِي ذَلِكَ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٢٩١/٧):

فَكَانَ تَفْسِيرُهُ بِلَفْظِ الْإِقْرَارِ أَقْرَبَ مِنْ تَفْسِيرِهِ بِلَفْظِ التَّصَدِيقِ. اهـ.

الإيمان: هُوَ التَّصَدِيقُ بِالشَّيْءِ عَنِ إِقْرَارِهِ بِهِ، فَهُوَ التَّصَدِيقُ الْمُسْتَلْزَمُ لِلطَّاعَةِ

وَالْإِنْقِيَادِ.

نَقَلَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٦٧٢/٧)، - فِي بَيَانِ أَنَّ الْإِيمَانَ

قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ كَمَا قَالَ سَفِيَانٌ وَغَيْرُهُ -: وَأَجْمَعَ السَّلَفُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ

وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَوْلُ الْقَلْبِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ (١)، ثُمَّ قَوْلُ
اللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ. اهـ.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ (٣٠٨/٧): وَلِهَذَا كَانَ الْقَوْلُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ
مِنْ شَعَائِرِ السُّنَّةِ، وَحَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ. اهـ.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣٨/٩): أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ
قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ. اهـ.

وقال البغوي رَحْمَةُ اللَّهِ: اتَّفَقَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ
عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ... وَقَالُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ، وَعَمَلٌ، وَعَقِيدَةٌ. اهـ.

ومن حكي الإجماع القاضي عياض رَحْمَةُ اللَّهِ، قال: أجمعوا أنه لا يكون مؤمنٌ تام
الإيمان إلا باعتماد قول وعمل، وهو الإيمان الذي ينجي رأساً من نار جهنم،
ويعصم المال والدم. اهـ.

ومن الأدلة على أن الإيمان تصديق القلب، وقول القلب:

• قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ
مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

(١) يشمل النية.

دليل النية والاعتقاد:

• قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، أنه لا بد من الاعتقاد في الإيمان، والنية.

دليل القول:

• في «الصحيحين» قال النبي ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(١)، هذا على أنه قول، وسبقت الأدلة على أنه عمل القلب، واعتقاد القلب، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلْنَا لِمَا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

ومن الأدلة على أنه قول اللسان:

• قول الله تعالى: ﴿قُولُوا ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦].

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠).

• وقول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٤].

• وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»^(١).
وأما الأدلة على أنه عمل بالجوارح، فكثيرة جداً:

• منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]، فأدخل إقامة الصلاة، والنفقة في الإيمان.

• وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أجمعوا على أن معنى: ﴿إِيمَانُكُمْ﴾: صلاتكم، ففسر العمل بالإيمان، فالأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

(١) أخرجه مسلم (٣٨)، وفي لفظ: «قل: ربّي الله، ثم استقم».

• وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا

وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

• وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١)،

فأدخل الحب في الله - وهو من أعمال القلوب - في الإيمان.

• وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَيْنَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ (٢): مَنْ كَانَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ» (٣).

• وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ

تُحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْلكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٤).

• وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» (٥).

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) وهذا يدل على أن الإيمان له حلاوة يجدها من تحققت فيه هذه الأعمال.

(٣) أخرجه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣)، عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٥٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحديث حسن بشواهده وأصوله.

• وفي «الصحيحين»، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الإيمانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً»، وفي لفظٍ: «الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فالقول من الإيمان بهذا الحديث وغيره، «وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ»، وهذا عمل، فالعمل من الإيمان بهذا الحديث، «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، والحياء عمل قلبي، أعمال القلوب من الإيمان بهذا الحديث، فدل هذا الحديث بمفرده على القول والعمل والنية، (القول، والعمل القلبي، والعمل البدني).

وكل هذه مترابطة فلا ينفع قول الإيمان بلا عمل فهذا صنيع المنافقين، قال تعالى: ﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

ولما كان إيمانهم قولاً لا فعلاً كانوا في الدرك الأسفل من النار، كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١٤٦) [النساء: ١٤٥-١٤٦].

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والعمل بلا قصد ولا نية وإخلاص لا يعتبر من الإيثار، ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أناساً عملوا ولم يكونوا مخلصين، فأهدر أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ٢-٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، ولم يكن ينفعهم إيمانهم بشيء من ذلك ﴿كَسْرَابٍ يَقِيَعَةٍ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩]، ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

والقول والنية بلا عمل غير كافٍ، ما دام مُتَمَكِّنًا مِنَ الْعَمَلِ، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥]، «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان»، حب الأنصار من الإيمان، «لا يُحِبُّهُمُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ» (١).

فهو قول واعتقاد وعمل، وتنحية العمل عن الإيثار إرجاء.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥)، عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومما يدل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان اقتران العمل والإيمان في كثير من الآيات، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وعد الله **عَزَّجَلَّ** بمغفرته لمن جمع بين العمل والإيمان، لا لمجرد دعوى الإيمان بدون عمل، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩]، فأثبت لهم الإيمان باقتران العمل والإيمان، ووعد الله **عَزَّجَلَّ** بأن يجعل لهم الود والمحبة في الأرض والقبول في الأرض إذا اجتمع عندهم عمل وإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ووعد بالجنة لمن اجتمع له عمل وإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [١٧] خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤] [الأنفال: ٢-٤]، فجمع بين العمل والإيمان.

وقد وردت أدلة فيها مطلق الإيمان أنه نجاة؛ لكنها مقيدة بهذه الأدلة الأولى،

وقد تحمل على من لم يتمكن، كما في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَكَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ وَتَبَقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَنَحْنُ نَقُوهَا». فَقَالَ لَهُ صَلَةٌ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُمْ لَا يَذْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ فَقَالَ: يَا صَلَةٌ تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا^(١).

لم يتمكنوا لأنه رُفِعَ الْقُرْآنُ، ولم يبقَ عندهم حجة، ولم يبقَ لهم نبي يبلغهم دين الله، وجدوا آباءهم على ذلك فبقوا عليه، فتنجيهم تلك الكلمة: (لا إله إلا الله) من النار؛ لجهالتهم، ولعدم بلوغ الحجة إليهم، فهذا من ضمن أدلة العذر بالجهل، كما ذكرنا في رسالتنا «مختصر المقالة في العذر بالجهالة».

وسحرة فرعون لم يتمكنوا من العمل؛ فإنهم آمنوا وقتلوا، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَأَوْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٦﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُعْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَرْهَمْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، وهو مخرج في «الصحيح المسند» لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ رقم: (٢٩٣).

وَأَبْقَى ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ [طه: ٧٢-٧٥]، فهم مؤمنون، وعاملون للصلوات عازمون على ذلك، فلم يتمكنوا من أي سجدة، ولا من أي ركعة.

فقولهم: ﴿مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾، يدل على أنهم عازمون مع الإيمان على العمل الصالح ولم يتمكنوا منه.

وليس ثم دليل يفصل العمل عن الإيمان يصلح للإستدلال به أن صاحبه ينجو من النار مع تمكنه منه، وترك الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، ذكر المفسرون على أن معنى: ﴿سُدًى ﴿٣٦﴾﴾: مُعْطَلًا لَا يُؤْمَرُ، وَلَا يُنْهَى، وَلَا يُثَابُ، وَلَا يُعَاقَبُ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، **والعبادة**: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.

حتى لو ترك العبد الصلاة وحدها فقط، وهو غير معذور عن ذلك مع قدرته على أدائها، فإنه لا يكون ناجياً من عذاب الله، ولا مؤمناً، قال النبي ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» (١)، وقال ﷺ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ

(١) أخرجه احمد (٢٢٩٣٧)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والترمذي (٢٦٢١)، عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو صحيح.

الشُّرْكَ وَالْكَفْرُ تَرْكُ الصَّلَاةِ^(١).

هذه فقرات: الفقر الأولى جملة أدلة على أن الإيمان قول، وكل ما ترى من الأدلة في ذكر الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين، وما كان من ذلك من بابها. وكل ما ترى من الأدلة في النوايا، والمقاصد، وفضل ذلك، «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٢)، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ بِالْمُدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمُدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمُدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»^(٣)، بما معهم بالإيمان والنية والقصد صاروا مؤمنين مصدقين عاملين بنواياهم، قاصدين الخير، قال النبي ﷺ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»^(٤)، فيه أنه قد يؤجر على نيته وقصده، حتى قال

(١) أخرجه مسلم (٨٢)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٣)، ومسلم (١٩١١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣٠)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بعضهم: نية المؤمن خير من عمله، أنه قد يؤجر على نية الخير، وقصد الخير الأجور الكثيرة؛ ولو لم يعمل ذلك عجزاً أو لم يتيسر له ذلك.

والحب في الله، والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»^(١).

ومنها عداوة الكافرين وبغضهم، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]، أعمال قلبية، يؤجر عليها الإنسان بنوايا ومقاصد، عقيدة، قول واعتقاد وعمل، لأدلة سبق ذكرها، فكل فقرة عليها أدلتها من الكتاب السنة، وهذا معنى قول هذا الإمام: قول وعمل ونية، فذكرنا جملة من أدلة كل فقرة، مع الإشارة إلى غيرها.

قَوْلُهُ: وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ: يعني: لا ينفع مجرد القول، كما يقول أهل النفاق، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٣٨)، وأحمد (١٨٥٢٤)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَوْلُهُ: وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِالنِّيَّةِ:

دَلَّ عَلَى أَنَّ مَجْمُوعَ هَذَا لَا بَدَّ مِنْهُ: (قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ)، قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، وَإِذَا اخْتَلَّ رَكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ اخْتَلَّ الْإِيْمَانُ، لَوْ قَالَ: أَنَا سَأَقُولُ فَقَطْ بِلِسَانِي لَكِنِ مَا سَأَعْمَلُ، هَذَا عَمَلُ الْمُنَافِقِينَ.

وَلَوْ قَالَ: أَنَا سَأَعْمَلُ لَكِنِ مَا لِي نِيَّةٌ، أَعْمَلُ حَرَكَاتٍ دُونَ نَوَايَا وَلَا مَقَاصِدَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ ذَلِكَ، لَا بَدَّ مِنَ الْإِخْلَاصِ، وَالنِّيَّةُ هِيَ الْقَصْدُ وَالْاعْتِقَادُ.

وَلَوْ قَالَ: أَنَا سَأَقُولُ وَأَنْوِي لَكِنِ مَا سَأَعْمَلُ صَالِحًا يُقَالُ لَهُ أَيْضًا: مَا خَلَقَكَ اللَّهُ سَدَى، فَنَحْنُ عِبِيدُ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَالْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنَ الْأَقْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ، وَالظَّاهِرَةِ، أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ وَأَفْعَالٌ.

وَبُؤَبُ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» عَلَى ذَلِكَ تَبْوِيًّا جَمِيلًا فِي أَوَّلِ كِتَابِ الْإِيْمَانِ، عَلَى أَنَّ الْإِيْمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كِتَابُ الْإِيْمَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ (١) عَلَى خَمْسٍ»، وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لِيَزِدُّوْا إِيمَانَكُمْ﴾

(١) وَالْإِسْلَامُ وَالْإِيْمَانُ إِذَا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا، وَإِذَا افْتَرَقَا اجْتَمَعَا.

[الفتح: ٤]، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِدَاهِةٌ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَأَخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ.

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِصَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشَ فَسَابِقِينَهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أُمِتَ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ».

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي».

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ».

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ».

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ أَوْصِيَانًا يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جَا» سَبِيلًا وَسُنَّةٌ بَابُ دُعَاؤِكُمْ إِيْمَانَكُمْ لِقَوْلِهِ
عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُوكُمْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]، وَمَعْنَى: الدُّعَاءِ فِي
اللُّغَةِ الْإِيْمَانُ... اهـ.

قوله: وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ: والمقصود قول اللسان، وفعل القلب والجوارح، وفي لفظ
وعمل، وعمل القلب والجوارح، فقوله: عمل، يشمل عمل القلب وهو الاعتقاد
والنية، وعمل الجوارح. فإذا رأيت من يقول: (هو قول وعمل)، فهو شامل لقول
اللسان، وعمل القلب، والجوارح، وحتى القلب أيضًا يطلقون فيه: (أنه قال
بقلبه) أي: اعتقد، فأدمج كلمة: (فعل)، أدمج فيها: (فعل القلب وفعل
الجوارح)، وفي نسخة أخرى: (قول وعمل) وأدمج في العمل: (عمل القلب
وعمل الجوارح)، الشامل: للاعتقاد، والإخلاص، والحب في الله، والبغض في
الله، والنوايا، وما كان من ذلك.

الفقرة التي تليها: وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ: الإيْمَانُ يَزِيدُ، فَمَلُؤْ مِنْ يَزِدَادُ إِيْمَانَهُ، قَالَ تَعَالَى:
﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، بِمَاذَا يَزِيدُونَ؟ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَالَ
تَعَالَى: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا
بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَزِدْنَهُمْ﴾، أَي: إِيْمَانًا وَهُدًى،
﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا

أَنْزَلَتْ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧٥﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، فالمرء من يزداد بالأعمال، وبالقرآن، بالقول، والفعل، والاعتقاد، إيمانًا.

ساق البخاري هذه أيضًا، وقوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، لما كثرت الأراجيف عليهم، وأنَّ الناس قد اجتمعوا عليكم، ما ازدادوا إلا إيمانًا وثباتًا، ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وعدنا الله عزَّجَلَّ بالنصر، وعدنا الله بالتمكين، وما زادهم ذلك إلا ثقة بالله.

فأما المنافقون ازدادوا رجسًا، ذهب الأراجيف ونفقت عليهم ورجعوا.

قوله: (إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا...):

(إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ): الفرائض من الإيمان، وهي من أعظم الإيمان، «وَمَا تَقْرَبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»، وهذه الفرائض عامة، سواء كان فرائض التوحيد، فرائض الصلاة، فرائض الصيام، فرائض الزكاة، فرائض الحج، كل الفرائض والواجبات من الإيمان، ما يزداد بها الإيمان.

(وَشَرَائِعُ): وشرائع أيضًا، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ [الشورى: ١٣]، والأحكام، والحدود، وما كان من ذلك من شرائع الإسلام، وحقوق الجوار، وحقوق الوالدين، وهذه كلها شرائع، وجميع شعب الإيمان من الإيمان.

(وَحُدُودًا، وَسُنَنًا): السنن من الإيمان، ويزداد الإيمان، بالسنن، وبالنوافل، كما يزداد بالواجب زيادة أعظم، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِ ابْتَدَأَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأُكُلُوا وُلُوفًا وَّلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣١-٣٣].

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: عنده معاصي لكنه ممن اصطفاه الله من الوارثين.

﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: مكثفي بالواجبات، ومقصر في النوافل.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾: ودخولهم فيها على حسب درجاتهم في الإيمان،
 ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]، درجات عند الله.

﴿فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ﴾: فرائض، وشرائع، وحدود، وسنن، فمن استكملها استكمل الإيمان، أي: صار إيمانه كاملاً فإذا أتى بالفرائض، ونقص من السنن، ومن المندوبات، ومن الطاعات، نقص بقدر تعبه، ضعف إيمانه بقدر ضعف تعبه، والكل محبوب عند الله على ما عنده من الإيمان قوي أو ضعف؛ لكن: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»^(١).

قال النووي في «شرح مسلم»: «وفي كل خير فمعناه: في كل من القوي والضعيف خير؛ لا شترأ كهما في الإيمان، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات. اهـ.

أي: باعتبار جامع الإيمان، أنهم يسمون المؤمنين جميعاً؛ لكن قد يكون ما بين هذا وهذا كما بين السماء والأرض من التفاوت، «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، والله سبحانه وتعالى حبه لعباده المؤمنين يتفاوت فمنهم محبوب، ومنهم: أحب، فهذا المؤمن محبوب عند الله، وهذا أحب إلى الله منه، أتظن أن حب الله عز وجل لك أيها المؤمن المقصر، كحب الله للأنبياء والمرسلين، لا شك

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أَنَّ حَبَّ اللَّهِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَعْظَمَ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ.

قوله: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ):

أي: يكون مؤمن بإيمانه، مقصر بتقصيره، وإن كان فاسقاً ففاسقاً بمعصيته، ما يسلب عنه الإيمان ما دام من أهل الإيمان، وإن حصل قصور أو معاصي، فإن حصل قصور من التعبد يكون إيمانه ليس كإيمان من استكمل هذه الأمور، حتى وإن لم يقع في المعاصي ويتعمدها، وإن حصل عنده إيمان؛ ولكنه حصل تقصير، ومع التقصير أيضاً حصل اقتراف لبعض المعاصي مزيد على ذلك، ما يسلب إيمانه؛ لكن يكون ضعيفاً، «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»، وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

واحد عنده أعلى إيمان، وواحد عنده إيمان أضعف، وفي بعض الحالات كما في «صحيح مسلم»^(٢): «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ»، قد يتلاشى إن رأى المنكر ولم يغيره حتى بالقلب، ينعدم ويتلاشى عنده الإيمان إذا أقر المنكر، وتقلبت

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٩١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحقائق عنده، «لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» (١).

قوله: (فَإِنْ أَعِشْ فَسَأَيِّبُنَهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمْتُ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ

بِحَرِيصٍ): وله بقية من «صحيح البخاري» في شرح الإيثار وبيانها، وأنه يزيد بماذا؟ يزيد بالطاعة وواجباتها وومندوباتها، وينقص بالمعصية، ويضعف أيضًا بترك المندوبات لا يكون كمن استكمل الشرائع، والسنن، فإنهم تراهم يُعبرون، يقولون: (يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)، هذا لا شك فيه ولا خلاف فيه بين السلف؛ لكن أيضًا تفتن على أنه يزيد بالطاعة الواجبة، ويزيد بالمندوبة للأدلة التي سبق ذكرها، وينقص بارتكاب المعصية، وكذلك يحصل ضعف عنده بقدر تفلته عن النوافل، وعن التبعات الصالحة، فلا يكون في مستوى من هو محافظ ومسابق في الخيرات، فقد جعل الله أهل الجنة مراتب، منهم: سابق بالخيرات، ومنهم مقتصد، ومنهم ضعيف إيمان، ومنهم قوي إيمان، أترى الذي يترك الوتر وهو محافظ على الصلوات لا يزيد ولا ينقص، يترك ليأخذ الواجبات؟! هو مؤمن بالله، وفي الحديث: فَادْبَرَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَقُولُ: -يا رسول الله-، وَاللهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» (٢)، أي: من

(١) أخرجه مسلم (١٤٤)، عَنْ حُدَيْقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المفلحين؛ لكن الذي يحافظ على الوتر والرواتب أفضل منه، وأقوى إيماناً منه، وإن كان ذلك من الناجين، وانظر من فقه الإمام البخاري، قال: كَلِمًا زَادَ نَقَصَ، كلما يقبل الزيادة يقبل النقص.

إِمَاحَةٌ إِلَى فَضْلِ الْإِيمَانِ

- **الإيمان**، لا يُدخِلُ الجنةَ إلا به، «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا»^(١).
- **والإيمان**، له بشاشة في القلب، وله طعم وحلاوة، لحديث: «وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ»^(٢)، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^(٣)، وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ مِنْهَا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ»^(٤).

• وله زينة، قال تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيَّ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ

(١) أخرجه مسلم (٥٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧)، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٣٤)، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).

الْكَفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعَصِيَانَ ﴿ [الحجرات: ٧].

• كما أنه له زينة في القلوب، له زينة في الوجوه، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (١).

• الإيمان يعتبر حياة الإنسان، فإذا فقدته فقد حياته، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، فأبان أن الذي لا يدري ما الكتاب، وما الإيمان، أنه بلا روح حقيقية، بهيمية.

• وهو الخشية لله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

• وهو الهداية فمن تيسر له الإيمان يزداد من الهدى كل حين، قال الله سبحانه: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

[يونس: ٩]، فالهداية سببها الإيمان.

• وهو سبب لمحبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ [مريم: ٩٦].

• وهو سبب لولاية الله **عَزَّجَلَّ** للعبد؛ فلا يكون الإنسان ولياً لله إلا بالإيمان، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿يونس: ٦٢-٦٤﴾؛ فلا تصح له ولاية بلا إيمان وتقوى لله سبحانه، إلا إذا كان ولياً للشيطان، أما للرحمن فباب ولاية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الإيمان والتقوى.

• وهو سبب لخروج العبد من كل ظلمة إلى كل نور، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

• وهو سبب لأخوتك مع المؤمنين، وكذلك أيضاً لصلاتهم عليك، ودعائهم لك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

أَوْلِيَّكَ سَيَّرَحْمَهُمُ اللَّهُ ﷻ [التوبة: ٧١]، فرحمة الله، ومغفرته للمؤمنين، وقال سبحانه
 ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﷻ﴾ [طه: ٨٢].

• وهو سبب للولاء الصحيح، وللبراء الصحيح، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﷻ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فتجد المؤمنين بعيدين عن الولاء الباطل، لا تجد المؤمن على هذه الصفات، بل تجد المؤمن متميزاً مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﷻ﴾ [النساء: ١٤٦-١٤٧]، فهو سبب للولاء الصحيح، وللبراء الصحيح، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﷻ﴾ [المتحنة: ١]، فالله قد نهى عن موادة الكفار؛ فالإيمان الصحيح القوي الذي يرضاه الله ويحبه لا تجد صاحبه موالياً للكفار، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﷻ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجٰهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﷻ﴾ [المائدة: ٥٤]، الخطاب للمؤمنين، أي: الذين اتصفوا بالولاء للحق وأهله، وذم

الذين جانبوا الحق وأهله، ووالوا الباطل وأهله.

• هذه نماذج من فضل الإيمان وغيرها كثير، كل عمل صالح هو من فضل الإيمان، وفضل أهله؛ ولكن يجب على الإنسان يتذكر أن الإيمان له فضل عظيم وأنه لا حياة للإنسان إلا به في هذه الدنيا، فإذا تخلى عنه صار كالأنعام، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

هذا وإن الناس أهل القبلة اختلفوا في الإيمان، من حيث تعريفه، عرفت تعريف أهل السنة: أنه قول وعمل واعتقاد، ويقولون أيضًا: قول وعمل ونية، ويقولون أيضًا: قول وعمل، ويعنون به عمل القلب وعمل الجوارح الشامل للنية، هذا كلام أهل السنة، وتعريف أهل السنة، وأقوال أهل السنة في بيان الإيمان، وهذا هو الصواب.

هناك تعاريف باطلة للضلال، لخصها ابن عبد العز **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** «شرح الطحاوية» (٤٥٩/٢).

قال: اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان، اختلفًا كثيرًا: فذهب مالك

وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ وَسَائِرُ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَأَهْلُ الظَّاهِرِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: إِلَى أَنَّهُ تَصَدِّقٌ بِالْجَنَانِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِنَا إِلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّهُ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصَدِّقُ بِالْجَنَانِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِقْرَارَ بِاللِّسَانِ رُكْنٌ زَائِدٌ لَيْسَ بِأَصْلِيٍّ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو مَنْصُورٍ الْمُتَرِيدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَيُرْوَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَذَهَبَ الْكِرَامِيَّةُ إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ! فَالْمُنَافِقُونَ عِنْدَهُمْ مُؤْمِنُونَ كَامِلُونَ الْإِيمَانَ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَتَمِّمْ يَسْتَحِقُّونَ الْوَعِيدَ الَّذِي أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ! وَقَوْلُهُمْ ظَاهِرُ الْفَسَادِ.

وَذَهَبَ الْجُهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَأَبُو الْحُسَيْنِ الصَّالِحِيُّ أَحَدُ رُؤَسَاءِ الْقَدَرِيَّةِ - إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ! وَهَذَا الْقَوْلُ أَظْهَرَ فِسَادًا مِمَّا قَبْلَهُ! فَإِنَّ لَزِمَهُ أَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ عَرَفُوا صِدْقَ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمَا، وَهَذَا قَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَدِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]، وَأَهْلُ الْكِتَابِ

كَانُوا يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ بِهِ، بَلْ كَافِرِينَ بِهِ، مُعَادِينَ لَهُ، وَكَذَلِكَ أَبُو طَالِبٍ عِنْدَهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا، فَإِنَّهُ قَالَ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَأَةُ أَوْ حِدَارٌ مَسْبِيَةٌ ... لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مُبِينَا

بَلْ إِبْلِيسُ يَكُونُ عِنْدَ الْجَهْمِ مُؤْمِنًا كَامِلَ الْإِيمَانِ! فَإِنَّهُ لَمْ يَجْهَلْ رَبَّهُ، بَلْ هُوَ عَارِفٌ بِهِ، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، ﴿قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ [ص: ٨٢].

وَالْكَفْرُ عِنْدَ الْجَهْمِ هُوَ الْجَهْلُ بِالرَّبِّ تَعَالَى، وَلَا أَحَدٌ أَجْهَلُ مِنْهُ بِرَبِّهِ! فَإِنَّهُ جَعَلَهُ الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ، وَسَلَبَ عَنْهُ جَمِيعَ صِفَاتِهِ، وَلَا جَهْلَ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا، فَيَكُونُ كَافِرًا بِشَهَادَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ!. اهـ.

• **وقول الجهمية:** إن الإيمان هو المعرفة، على هذا لا فرق بين إبليس وبين سائر

الصالحين، والأنبياء، والمرسلين، إبليس عرف ربه، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [الحجر: ٣٦].

ولا فرق بين المشركين وبين الموحددين، المشركون عرفوا ربهم، قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ

السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ
فَأَنِّي تُسْحِرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ [المؤمنون: ٨٤-٩٠].

و فرعون الحقيقة أنه عرف إنما جحد بها واستيقنت نفسه، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا
وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]، فهم
مستيقنون بالله، وإنما ذلك جحود منهم.

وهكذا المشركون لما قالوا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠]، هذا عن جحود وعناد وإلا فهم
يعرفون الرحمن حتى في أقوالهم وأشعارهم فتجدهم يقولون:

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةَ هَجِينَهَا ... أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رِيَّ يَمِينَهَا

وكانوا إذا حصل لهم جذب أو قحط، قالوا: ادعوا لنا ربك يا محمد، ويأتون
النَّبِيَّ ﷺ يدعوا لهم الله عَزَّوَجَلَّ، وقال الله عنهم: ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فدل على
أنهم يعرفون الله وإنما جحدوا، استكبروا وعصوا.

فهذا التعريف: أن الإيِّان هو المعرفة، معناه: أنه لا فرق بين إيِّان المؤمنين،

والمشركين، والملحدين، الذين كثير منهم عرف أن الله ربه، فكل من عرف الله عندهم هو مؤمن.

والدعوة إلى وحدة الأديان، لها تأثير بهذا القول الباطل، باعتبار أنهم كلهم عرفوا الله، كلهم يعبدون الله، كلهم لهم إله، النصراني يقول: الله ربه، واليهودي يقول: الله ربه، كلهم أصحاب دين سماوي، وهذا الكلمة قد رددنا عليها في شريط: **(تحذير الغاوي من قول: اليهود والنصارى أصحاب دين سماوي!)**، بتاريخ (٢٧/شوال/١٤٢٥هـ)، وأبنا أنه قول ما هو صحيح، إنما الذين هم أصحاب دين صحيح، ودين سماوي من الله سبحانه، هم المؤمنون، ودين الله في الأرض والسماء واحد، هو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فهو الدين الذي في السماء، وفي الأرض، وفي الكون كله، والذي لا يرتضي الله عز وجل إلا هو، قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ» (١).

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهذه مقولة باطلة: الكفرة ليس عندهم دين حق، لا سماوي، ولا أرضي، عندهم دين باطل، وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، ومادة ردّ هذه المسألة لسنا في صدده، إنما أردنا بيان تأثر أصحاب الدعوة إلى وحدة الأديان، تأثروا بهم جهلاً، أو تقليداً: بأن الإيمان هو المعرفة، فمن عرف الله فهو مؤمن عندهم.

• **وقول آخر غير قول جهمية:** أنّ الإيمان نطق باللسان، وهذا قول ضلال الكرامية، الإيمان قول فقط، يقولون: نطق باللسان قول، فالمنافقون كلهم مؤمنون على حد قول الكرامية.

وعلى هذا القول الباطل لا فرق بين إيمان ابن سلول، وإيمان رسول الله ﷺ؛ لأنهم كلهم قالوا، ابن سلول يقول: لا إله إلا الله، والرسول يقولها، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، هذه الفكرة الآن منتشرة في كثير من البلدان، يقولون: كل من قال: (لا إله إلا الله، مؤمن كامل الإيمان)، هذا القول من قول الكرامية: أنّ الإيمان نطق باللسان، بعضهم عن علم ويدس هذا، وبعضهم عن جهل.

• **القول الآخر، قول الماتريدية:** أنه التصديق، مجرد التصديق بالقلب، إذا صدق قلبك بأن الله خالقه ورازقه وأن الله يحييه ويميته، وتؤمن بذلك، أنت مؤمن وهذا معناه يقارب قول الجهمية: أنه المعرفة؛ فإن كثير من المشركين كانوا مصدقين: بأن الله خالقهم ورازقهم ويحييهم ويميتهم، وهو قول باطل كما ترى الأدلة كلها ضده.

• **وآخرون يقولون:** إن الإيمان قول، واعتقاد، ويُنَحَّون العمل، ما يدخلون فيه العمل، منهم: الطحاوي، وبعض الحنفية، يُنَحَّون العمل عن الإيمان، وهذا قول المرجئة، والعمل داخل في مسمى الإيمان عند أهل السنة كما هو من قول سفيان **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وقول سائر أهل السنة، وسواء سموا ذلك قول الحنفية، أو قول فقهاء المرجئة، المهم أنه من الإرجاء.

الإرجاء: تأخير العمل عن الإيمان، يبقى الإيمان كافيًا، والعمل ليس شرطًا في الإيمان، وهذا خطأ؛ بل لا يقوم إيمان إلا بعمل صالح، ولا عمل إلا بإيمان، ولا إيمان وعمل إلا بنية، هذا قول سفيان **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما ترى وقول أهل السنة.

• **وهناك قول الخوارج، يقولون:** (الإيمان لا يتجزأ)، فإذا نقص الإيمان زال جزء منه، بعمل معصية نقص بها إيمانه، زال إيمانه كله، وعندهم في ذلك شبهة، مثل قول الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [البقرة: ٨١]، وما فهموها فهمًا صحيحًا، عندهم السيئة هذه

التي صاحبها من أصحاب النار، أي سيئة، أي معصية، فإذا مات مصرًا عليها فهو من أصحاب النار خالدًا فيها مثل أبي لهب وأبي جهل، مع أنه مات على التوحيد؛ لكن مات على هذه الكبيرة دون الشرك.

وهذا خلاف الأدلة التي تدل على أن من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب وهو من أهل التوحيد أنه لا يخرج بها من الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٩] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿ [الحجرات: ٩-١٠]، هؤلاء قد حصل بينهم اقتتال، وما انتفى الإيمان عنهم بالاقتتال، أما الخوارج يرونهم إذا اقتتلوا انتفى الإيمان عنهم؛ لأنه نقص بهذا فزال كله.

ومن شبههم: ما جاء عن أبي بكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(١)،

(١) أخرجه البخاري (٣١).

مستحق للنار؛ ولكن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]، أخذوا جانباً من الأدلة، وجعلوا جانباً آخرًا، فضلوا وأضلوا.

• **وعكسهم المرجئة قالوا:** إنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص، شيء واحد، زيادته ونقصانه كفر، إذا قلت: إنَّ الإيمان زاد، كفرت، وإذا قلت: إنَّ الإيمان نقص، كفرت، الإيمان واحد لا زيادة فيه ولا نقصان، استنادًا على حديث موضوع، وجانبوا تلك الأدلة الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿لِيَزِدَّادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

والأحاديث الدالة على نقصان الإيمان بالمعاصي، وبالقصور في الطاعة، لا يكون كإيمان المثابر على الطاعة والمواظب عليها، «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ» (١)، والحديث الآخر: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيْمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» (٢).

فهذه عدة أقوال:

• **القول الأول، قول أهل السنة، وهو الصواب.**

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٩١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• **القول الثاني، قول الحنفية:** كما أشرنا إليه، وهو من ضمن أقوال المرجئة التي فيها تأخير الأعمال عن الإيمان.

• **القول الثالث، قول الكرامية:** أنه عبارة عن قول ونطق باللسان، ولا يلزم اعتقاد قلب ولا عمل.

• **القول الرابع، قول الجهمية:** أنه المعرفة، الذي يعرف ربه مؤمن كامل الإيمان.

• **القول الخامس، قول الماتريدية:** أنه التصديق، وهو قريب من قول الجهمية.

• **القول السادس، قول الخوارج:** أنه قول وعمل، إلا أنه جزء لا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه ذهب كله.

• **القول السابع، قول المرجئة:** أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وزيادته ونقصانه

كفر، وإنما هو شيء ثابت، فمن قال: لا إله إلا الله، يكون إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل وسائر الأنبياء والصالحين، وإيمان أفسق الناس كأبرّ الناس.

هذه أقوال كلها أقوال الضالين، الأدلة على بطلانها كثيرة، قد أشار إليها وإلى الرد عليها ابن أبي العز، فيما ينقله عن شيخ الإسلام وغيره من الأئمة.

قَوْلُهُ: وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ وَالنِّيَّةُ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السَّنَةِ:

معناه: أن موافقة السنة من الإيمان، وهذا أمر يُتنبه له، وأن تعمد البدع تخدش الإيمان، وأن السنة حجة، ولا يقبل إيمان أي واحد يقول: إن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، ويخالف السنة في عمله فيعمل بهواه، هذا ما هو مؤمن، وما هو موحد،

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، وقال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(١)، وهو حديث صالح للاحتجاج له أصول، فلو كان هواه تبعاً لغير ما جاء به الرسول ﷺ فإن هذا يتنافى مع الإيمان، فقبول العمل عند الله يُشترط له: الإخلاص، الإيمان، التوحيد، ويُشترط له المتابعة لرسول الله ﷺ حتى يُقبل عند الله، فينتفع بإيمانه.

الصلاة إيمان؛ لكن لو صلاها على غير هدي رسول الله ﷺ باطلة، ما انتفع بها، والزكاة إيمان، كل أركان الإسلام، وأركان الإيمان، كل هذه الأعمال الصالحة من الإيمان؛ لكن لو أحدث فيها ما لم يأذن به الله، ما ليس بالسنة ما انتفع بها، ولا صحت؛ لحديث: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، أي عمل يحدثه الإنسان، كما أن العمل يُردُّ باختلال الإخلاص، فكذلك يُردُّ باختلال المتابعة، العمل يُقبل بشرطين، ويرد بأمرين:

• **يقبل:** بالإخلاص، بالتوحيد، بالإيمان.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحديث حسن بشواهد وأصوله.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

• **وَيُرَدُّ:** بالرياء، بالشرك، بالبدعة، بالمخالفة لطاعة الله في ذلك العمل، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، أي: ما كتبنا عليهم الرهبانية، إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، ومع ذلك على ما هم فيه ما رعوها حق رعايتها، هذا من المعاني لهذه الآية، فكما أن العمل يصير هباءً منثورًا إذا لم يكن فيه إخلاص لله سبحانه، «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ»^(١)، فكذلك يصير هباءً منثورًا إذا لم يقم على سنة.

فمن شروط صحة الإيمان: الإخلاص لله، والإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على ضوابطه، واجتماع هذه الأمور الثلاثة: قول، وعمل، واعتقاد، وموافقة السنة. وعن ابن المسيب، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يُكْرِرُ الرُّكُوعَ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَتَنَاهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَيْعَدُّبْنِي اللَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ؟»، - ويظن أنه سيخضمه - قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ يُعَدُّبُكَ عَلَى خِلَافِ السُّنَّةِ»^(٢)، وهذه فتوى من سيد التابعين سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ عُدِّبَ، ولو كان في نظره يعمل صالحًا.

(١) حديث قدسي، أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٧٥٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٤١٣١).

• **ويؤيد ذلك:** «وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١)، أي: صاحبها مستحق للنار.

• **ويؤيد ذلك:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾^(١٥٢) [الأعراف: ١٥٢].

• **ويؤيد ذلك:** ﴿أَيُّومًا كَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، الله **عَزَّجَلَّ** أتم نعمته، وأكمل دينه، وهذا يأتي يزيد وينقص.

هذا معناه: أن الدين عندهم ما هو مكتمل!، الدين يحتاج إلى أن يتصرف فيه هذا يزيد وينقص!.

• **ويؤيد ذلك:** أن البدعة تشريع ما لم يأذن به الله، فهي اعتداء على شرع الله، وتناول على شيء من حق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا مما يدل على أنها تخدش التوحيد، وتخدش الإيمان، البدعة وتعمد ذلك، قال الله سبحانه: ﴿أَمْرٌ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]،

وقال النبي **ﷺ** كما في «الصحيح»^(٢): «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ

(١) أخرجه النسائي في «المعجبى» (١٥٧٨)، و«الكبرى» (٥٨٦١، ١٧٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِثْلَ أَجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا.

فَسُمِّيَتِ الْبِدْعَةُ ضَلَالَةً.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ» (١).

ثم أبان لهم أن: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» (٢)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾ [ص: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١]، الذي يريد أن يحبه الله يتبع النبي ﷺ هذا أسباب قبول العمل، ومحبة الله، و ضد ذلك أسباب إحباط العمل وبغض الله، العمل مردود، فلهذا در هذا الإمام، إذ أدخل موافقة السنة في الإيمان.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» رقم: (١٧١٤٤).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبى» (١٥٧٨)، و«الكبرى» (٥٨٦١، ١٧٩٩).

قال: (ولا يجوزُ القولُ والعملُ والنيةُ إلا بموافقةِ السُّنةِ):

فمنكرو السنة، كفره، هذا من كلام سفيان وغيره؛ لأنهم ردُّوا وحياً، ردُّوا ديناً، ردُّوا القرآنَ أيضاً، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، رسول الله ﷺ أتى لنا بهذا الوحي، بالقرآن والسنة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ردُّوا هذا، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ردُّوا هذا، كل الأدلة الدالة على اتباع النبي ﷺ، ووجوب ذلك، والاستجابة له، وطاعة رسول الله ﷺ، كلها ردُّها قرآنيون زعموا، ولا هم قرآنيون ولا سنيون ولا مسلمون، لا هذا ولا هذا. كيف سيفهمون شرع الله؟! وقد رد عليهم أعداد الائمة، أئمة كثيرون ألفوا كتباً مستقلة في حجية السنة يردون بها على من يدعي هذه الدعوى من الزنادقة، هذه مسألة قديمة، ما هي حديثة من (رافضة صنعاء الآن)، أو غيرهم.

ومن ضمن إنكار السنة إنكار ما ليس بمتواتر من السنة، ومعنى ذلك: أنه سيقى لنا من أقوال وأفعال وإقرار رسول الله ﷺ طيلة دعوته، من بعثته إلى وفاته، نحو مائة حديث، وباقي دواوين السنة: من صحاح، وسنن، ومعاجم، وأجزاء، كل ما فيها من ثواب السنة، كلها مهدورة عند أصحاب هذا الفكر الزنديقي! عياداً بالله.

المتواتر بالنسبة لغيره نزرٌ يسير، فإنكار ما ليس بمتواتر إنكار للسنة، والواجب اتباع السنة متواتراً على حد تقسيمهم، أو أحاداً ما دامت ثابتة، قال تعالى: ﴿وَمَا

ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴿الحشر: ٧﴾، قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا
 أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴿الأعراف: ٣﴾، أنزل إلينا كتاب من ربنا، وسنة من ربنا، قال
 تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿النساء: ١١٣﴾، وقال تعالى:
 ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴿الأحزاب: ٣٤﴾،
 وقال تعالى: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴿النجم: ١-٤﴾.

الشيخ رحمة الله عليه لمحبه للسنة، ودعوته إليها، جعل في كتابه «الجامع
 الصحيح مما ليس في الصحيحين»، كتابًا خاصًا سماه: (كتاب السنة)، تبعًا
 لأبي داود **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «سَنَنِهِ»**، وغيره، أول باب من هذا الكتاب في «الجامع
 الصحيح» (٢٥/٥)، قال:

السنة وحجيتها:

وساق من أبي داود، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
 النَّفِيلِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ،
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَّكِنًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا
 أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَذْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبِعْنَاهُ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٦).

وتتممة الحديث: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(١)، يعني: من السنة.

قال: العمل بالسنة طاعة لله:

ومنها: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَا هَؤُلَاءِ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟»، قَالُوا: بَلَى نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ؟»، قَالُوا: بَلَى نَشْهَدُ أَنَّهُ مَنْ أَطَاعَكَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَأَنْ مَنْ طَاعَةَ اللَّهَ طَاعَتَكَ، قَالَ: «فَإِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَنْ تُطِيعُونِي، وَإِنَّ مِنْ طَاعَتِي أَنْ تُطِيعُوا أُمَّتَكُمْ، أَطِيعُوا أُمَّتَكُمْ، فَإِنْ صَلَّوْا قُوعِدًا فَصَلَّوْا قُوعِدًا»^(٢).

ثم قال: الرجوع إلى السنة عند الاختلاف: وذكر حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،

(١) أخرجه أحمد في «المسند» رقم: (١٧١٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» رقم: (٥٦٧٩).

وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي
وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَيِّدِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ
وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

لما ذكر لهم الاختلاف أرشدهم إلى بعض منها.

الإعراض عن السنة هلاك:

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ،
وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
فَقَدْ هَلَكَ».

من لا يعمل بالسنة لا يفلح:

حديث عمران بن حصين، قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكَيِّْ فَانْتَوَيْنَا، فَمَا
أَفْلَحْنَا، وَلَا أَنْجَحْنَا».

ضلال من لا يعمل بالسنة:

حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «أُمَرَاءُ
يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَتُونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ،
وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي،
وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسِيرِدُوا

عَلِيَّ حَوْزِي. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ سُحْتِ النَّارِ، أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا.

وهكذا حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، «هَذِهِ سُبُلٌ»: أي: أهواء.

أما قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ وَسُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

أي: طرق الخير والسلامة من الفتن، ومن الشر، ومن المعاصي، تلك سبل السلام، طرق الخير، وهذه سبل هلكة وضلالة.

وحديث النّوّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاءٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ».

والسنة قد تطلق على:

• **الطريقة:** «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»، وقال: «مَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (١).

• **وتطلق على مقابل الواجب:** يقال: هذا واجب، وهذا سنة، ولا يجوز احتقار السنن التي هي دون الواجبات، بل إنها تكمل ما حصل من نقص في الفرائض، كما ثبت في «مسند أحمد» رقم (١٦٦١٤)، قال: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنِ الْأَزْرَقِيِّ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ، فَإِنْ كَانَ أُمَّهَاتُ كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أُمَّهَاتُ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: انظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تَطَوُّعٍ فَتُكْمَلُوا بِهَا فَرِيضَتُهُ؟ ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ».

والمتهاون بالسنن لا يكون من السابقين، ومن أهل الإيمان الكُمَّل، كما تقدم قول عمر بن عبد العزيز: (الإيمان فرائض، وحدود، وشرائع، وسنن، من استكملها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان)، فالسنن التي هي دون الواجب من الإيمان.



٣- قال شعيب بن حرب: فقلت: يا أبا عبد الله، وما موافقة السنة؟

قال: تقدمه الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

الشرح

قال رحمه الله لتلميذه بعد أن أبان له أنه لا يتتبع بأمور الإيمان حتى توافق أعماله السنة.

قال شعيب، فقلت: يا أبا عبد الله، وما موافقة السنة؟

قال: تقدمه الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

يعني: موافقة السنة كثيرة؛ لكن من أجلها فيما يتعلق باتباع السلف، وعقيدة الإيمان، تقدمه أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم العشرة المبشرين بالجنة، وهكذا، فهذه عقيدة من الإيمان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «العقيدة الواسطية» (١١٨):

وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ. اهـ.

وأيضاً يقال فيه: إذا رأى تقديم أحد هؤلاء على الآخر، أنه خالف طريقة

السلف وإجماعهم، فقد أجمعوا على تقديم عثمان على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإن كان هناك من يرى تفضيل عليّ على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والصواب تفضيل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أما الخلافة فعلى هذا الترتيب الشرعي الذي دلت عليه الأدلة، وأجمع عليه الأمة فمن رأى خلاف هذا القول فهو ضال؛ لأنّه خالف الأدلة؛ ولأنّه اتهم إجماع الأمة بالجور والظلم، وأنّهم ما عدلوا.

بل إنّ بعض الرافضة يعتبرون أنّ جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما عدل! لماذا جاء بالنبوة على محمد وما جاء بها لعلي؟! يقولون: خان الأمين، خان الأمين، عند فراغهم من الصلاة، ومعنى: (خان الأمين)، أنّ النبوة كانت أصلاً هي مُنزلة على علي؛ ولكن جبريل أعطاهما محمداً فخان، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الطحاوية»:

وُنُسِبَتْ الْخِلَافَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ. اهـ.

وفي «لامية شيخ الإسلام» رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وَفَضَائِلٌ ... لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٦٦٩/٢):

اِخْتَلَفَ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١): هَلْ كَانَتْ بِالنِّصِّ، أَوْ بِالِاخْتِيَارِ؟ فَذَهَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ إِلَى أَنَّهَا ثَبَّتَتْ بِالنِّصِّ الْحَقِيِّ وَالْإِشَارَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِالنِّصِّ الْجَبِيِّ.

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ إِلَى أَنَّهَا ثَبَّتَتْ بِالِاخْتِيَارِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى إِثْبَاتِهَا بِالنِّصِّ أَخْبَارٌ:

مِنْ ذَلِكَ مَا أَسْنَدَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»، وَذَكَرَ لَهُ سِياقًا آخَرَ، وَأَحَادِيثَ أُخَرَ، وَذَلِكَ نَصٌّ عَلَى إِمَامَتِهِ.

وَ حَدِيثُ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكرٍ وعمر»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٦٦٢)، وَأَحْمَدُ (٢٨١/٣٨)، وَهُوَ حَسَنٌ لغيره. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَنْ أَبِيهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ

(١) بعد إجماعهم أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ لا أحد منهم يشك في ذلك أو يخالف، إنما هل كانت هذه الخلافة بالنص أو الاختيار؟.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْيَوْمِ الَّذِي بُدِيَ فِيهِ، فَقَالَ: «ادْعِي لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا»، ثُمَّ قَالَ: «يَأْبَى اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلَا يَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ طَامِعٌ».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: «ادْعِي لِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، لِأَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَا يُخْتَلَفُ عَلَيْهِ»، ثُمَّ قَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُخْتَلَفَ الْمُؤْمِنُونَ فِي أَبِي بَكْرٍ».

وَأَحَادِيثُ تَقْدِيمِهِ فِي الصَّلَاةِ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، وَقَدْ رُوجِعَ فِي ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَصَلَّى بِهِمْ مُدَّةَ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ، عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَتَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَتَزَعَّ مِنْهَا ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّ أَرَّ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ بِعَطْنٍ».

وَفِي «الصَّحِيحِ» أَنَّهُ ﷺ قَالَ عَلَى مِنْبَرِهِ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا

(١) هذا النبي ﷺ دهم على أنه خليفته في الصلاة؛ فإذا كان كذلك فهو بعده، «يَأْبَى اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»، وغير ذلك الأدلة.

لَا تَحْذُتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، لَا يَبْقَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ، إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ.

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»، وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيثِ الْأَشْعَثِ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟»، فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا: رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا أُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوَزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ وَزَنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوَزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ، فَرَأَيْتُ الْكِرَاهَةَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «خِلَافَةُ بُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»، فَبَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ وِلَايَةَ هَؤُلَاءِ خِلَافَةُ بُبُوَّةٍ، ثُمَّ بَعَدَ ذَلِكَ مُلْكُ. اهـ.

قال الطحاوي رحمه الله: (ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه).

قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٧١٠/٢):

أَي: وَتَنَبَّأَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَذَلِكَ بِتَبْوِضِ أَبِي بَكْرٍ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ، وَاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ بَعْدَهُ عَلَيْهِ، وَفَضَائِلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُنْكَرَ، وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَوْ مَا تَعْرِفُ؟ فَقُلْتُ؟ لَا، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: ثُمَّ عُثْمَانُ! فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ ﷺ: «اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وَضَعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَفَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُنْتُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَتَرَحَّمَ عَلَيَّ عُمَرُ، وَقَالَ: مَا خَلَفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يُجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا مَا أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأَظُنُّ أَنْ يُجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا.

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَزْعِهِ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَزْعِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتِحَالَتِ الدَّلُوعُ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطْنِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ: قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يُكَلِّمُهُ، عَالِيَةً أَصْوَاهُنَّ - الْحَدِيثُ، وَفِيهِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيضًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»، قَالَ ابْنُ وَهَبٍ: تَفْسِيرُ مُحَدِّثُونَ: مُلْهُمُونَ. اهـ.

ثم لعثمان ذي النورين، وذكر إجماع الصحابة على اختياره بالحديث الذي في البخاري (٣٧٠٠)، في قصة بيعة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث طويل.

ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلى هذا الترتيب، فالواجب الإيمان بذلك بإجماع السلف رضوان الله عليهم بهذه الأدلة، وانظر ماذا قال الأئمة في الإجماع.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الذي استقر عليه أمر أهل السنة والجماعة) أَنْ تَرْتِيبَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ فِي الْفَضْلِ، كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الخِلَافَةِ. اهـ. أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «العقيدة الواسطية»:

وَيُقَرَّبُونَ - أي: أهل السنة - بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ: خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلَّثُونَ بِعثمانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ. اهـ.

وقال الإمام أسماعيل بن يحيى المزني في «شرح السنة» (٨٥):

وَيُقَالُ: بِفَضْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ أَفْضَلُ الخَلْقِ وَأَخْيَرُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنُشِّي بَعْدَهُ بِالْفَارُوقِ وَهُوَ عَمْرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهِيَمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَضَجِيعَاهُ فِي قَبْرِهِ وَجَلِيسَاهُ فِي الجَنَّةِ وَنَثَلَتْ بِذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ بِذِي الْفَضْلِ وَالتَّقَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وقال: هَذِهِ مَقَالَاتٌ وَأَفْعَالٌ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الْمَاضُونَ الْأَوْلُونَ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى وَبِتَوْفِيقِ اللَّهِ اعْتَصَمَ بِهَا التَّابِعُونَ قَدْوَةَ وَرَضَى. اهـ.

وقال أبو حاتم الرازي، وأبو زرعة الرازي: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ: وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. اهـ «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم اللالكائي.

وقال أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (١/١٩): وَيَشْهَدُونَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَفْضَلَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ. اهـ. وهكذا إجماعهم، ويليه الكلام على الخلافة.

قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شرح السنة» (١٣٠)، قال: وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ فَهُوَ رَافِضِيٌّ، قَدْ رَفَضَ أَمْرَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. اهـ. يعني: رَفَضَ طَرِيقَةَ الصَّحَابَةِ؛ وَذَلِكَ لِاخْتِيَارِهِمْ وَتَقْدِيمِهِمْ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي الْخِلَافَةِ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «مجموع الفتاوى» (١٥٣/٣):

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌُّّ وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَّةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ. اهـ.

وقال رحمه الله (١٩/٣٥): قَالَ أَحْمَدُ: مَنْ لَمْ يُرْبِعْ بَعْلِي فِي الْخِلَافَةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ؛ وَتَمَى عَنْ مُنَاكَحَتِهِ (١)، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ وَعُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالنُّصُوصِ وَهُوَ مَذْهَبُ الْعَامَّةِ. اهـ.

وقال الآجري رحمه الله في «الشریعة» (١٧٠٢/٤):

اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَيَانُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَيَانٌ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَيَانٌ مِنْ قَوْلِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ عَقْلٍ عَنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَنْ يَشُكَّ فِي هَذَا. اهـ.

وقال أبو بكر الإسماعيلي في «اعتقاد أئمة الحديث» (٧٢): وَيُشْتَبَنُ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِاخْتِيَارِ الصَّحَابَةِ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةَ عُمَرَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاجْتِمَاعِ أَهْلِ الشُّورَى وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ عَنْ أَمْرِ عُمَرَ ثُمَّ خِلَافَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ بَيْعَةِ مَنْ بَايَعَ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ عُمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَسَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ، وَمَنْ تَبِعَهُمَا مِنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ مَعَ سَابِقِهِ وَفَضْلِهِ. اهـ.

(١) يعني: الذي يقدم علياً على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، نهى عن مناكحته.

هذه كلها خلافة نبوة، الأربعة خلافتهم خلافة نبوة، يؤمن بها أهل السنة على هذا الوصف، ويذكرونها في معتقداتهم ردًّا على أهل الأهواء والزنادقة، الذين يطعنون في عدالة الأمة، أمة الإسلام، ويتهمونهم بالظلم والجور، ويتهمونهم بالفسق، ويلعنونهم ويسبونهم، فمن لازم الخروج عن هذا القول الخروج على أئمة السلف، وردُّ أقوالهم، والطعن فيهم وبغضهم كما يفعل الرافضة، وهذا كفى به انحراف، وهدم للدين.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «العقيدة الواسطية»:

مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ. اهـ.

يعني: من حيث التفضيل، لا يضلل من فضل عليًّا على عثمان، أما من حيث الخلافة فيضلل إذا قال: إنَّ عليًّا أحق بالخلافة من عثمان، فيصير أضل من الحمار، وكفى بالحمار بلادة! والصحيح أنَّ عثمان أفضل من عليٍّ، كما استقر عليه أمر أهل السنة كما تقدم نقل الطحاوي: أن تَرْتِيبَ الْخُلَفَاءِ فِي الْفَضْلِ، كَثَرْتَبِيهِمْ فِي الْخِلَافَةِ. اهـ.

وقد اتفق الصحابة على خلافة أبي بكر كما في سقيفة بن ساعدة، ثم استخلف أبو بكر عمر بن الخطاب بعده، واتفق الصحابة عليه كذلك، ثم وَكَلَّ عمر بن الخطاب بالخلافة إلى الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، كلهم من ضمن

المبشرين بالجنة، فاتفقت الأمة على تقديم عثمان رضي الله عن الجميع، ثم استخلف علي بن أبي طالب بعد مقتل واستشهاد عثمان، فالأمة مجمعة على ترتيب هؤلاء الخلفاء الأربعة.

وقد أشار إليهم النبي ﷺ بقوله في حديث سَفِينَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ»، قَالَ سَفِينَةُ: «أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سِتِّينَ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتَّ سِنِينَ»^(١). مع تمة ستة أشهر كانت للحسن.

(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، والحديث في «الصحیح المسند مما ليس في الصحیحین» (٤٣٧) لشيخنا رَحْمَةُ اللَّهِ، وفي «الصحیحة» أيضًا (٤٥٩).

قال سفيان الثوري رحمه الله:

٤- يا شعيب، لا ينفَعُكَ ما كتبتُ حتى تُقدِّمَ عثمانَ وعلياً على من بعدهما.

الشرح

وفي هذا أن الذي يستفيد ويُرجى نفعه لنفسه وللمسلمين، هو الذي يقيم الأدلة ويسير على طريقة السلف؛ لهذا قال: (لا ينفَعُكَ ما كتبتُ لك)، أي: إذا انحرفت وصرت على ما يصير الشيعة، وغيرهم من الضلال، ما ينفَعُ العلم من كان حجة عليه:

بِاللَّهِ لَفْظَكَ هَذَا سَأَلَ مِنْ عَسَلٍ ... أَمْ قَدْ صَبَبْتَ عَلَيَّ أَفْوَاهِنَا عَسَلًا^(١)

انظر إلى الذين انحرفوا بعد أن عرفوا السنة هل استفادوا ما نفعهم ما كتبوا، ما نفعهم ما حفظوا، ما نفعهم ما درسوا، ما نفعهم كل هذا، بل يكون حجة عليهم لا لهم، بل ربما يرجع مثل الكلب يلهث، قال تعالى: ﴿وَأَنْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْضِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

(١) انظر «يتيمة الدهر»، و«رسائل الثعالبي» للثعالبي، و«الأنساب» (٢٥٠/٦) للسمعاني، وقبله:

بِاللَّهِ قُلِّ لِي أَفْرَطَاسٌ تَخْطُبِيهِ ... مِنْ جِلَّةٍ هُوَ أَمُّ الْبَسْتَةِ حَلًّا

هذا تثبت جيدٌ، أن من سار على طريقة السلف انتفع بعلمه ونفع، وأن من خالف طريق السلف في هذا المعتقد الإيماني كله أنه ما ينتفع بشيء، هبه يصير حافظًا، كاتبًا، مؤلفًا، على أي حال ما ينتفع، (لا ينفعك ما كتبت لك).

انظر إلى هؤلاء الذين قدموا عليًا على غيره من الصحابة؟، قدّموه على عثمان، بل قدّموه على عمر بل قدّموه على أبي بكر، بل إنهم يقولون: رب العالمين أرسل جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالرسالة لعلي، وجبريل خان فجعلها لمحمد، وهذا طعن في الله عَزَّجَلَّ أنه لا يعلم، وأنه يرسل الخونة، وأنه يكون في ملكه ما لا يريده، وفي جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وفي دين الله عَزَّجَلَّ.

اليهود يعادون جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، والرافضة أشد أعدائهم من الملائكة جبريل، يعتبرونه خائنًا، ومن غلوهم في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنزلوه منزلة رب العالمين عَزَّجَلَّ، كما في أشعار بعضهم، منها:

قال الرافضي علي بن سليمان المزيدي (لا رحمه الله):

أبا حسن أنت زوج البتول ... وجنب الإله ونفس الرسول
وبدر الكمال وشمس العقول ... ومملوك رب وأنت الملك
دعاك النبي بيوم الغدير ... ونص عليك بأمر الغدير
لأنك للمؤمنين الأمير ... وعقد ولايته قلّك
إليك تصير جميع الأمور ... وأنت العليم بذات الصدور

وأنت المبعثر ما في القبور ... وحكم القيامة بالنص لك
 وأنت السميع وأنت البصير ... وأنت على كل شيء قدير
 ولولاك ما كان نجم يسير ... ولا دار لولاك الفلك
 وأنت بكل البرايا عليم ... وأنت المكلّم أهل الرقيم
 ولولاك ما كان موسى الكليم ... كليماً فسبحان من كونك
 أبا حسن يا مدير الوجود ... وكهف الطريد ومأوى الوفود
 ومسقي محبيك يوم الورود ... ومنكر في البعث من أنكرك
 أبا حسن يا علي الفخار ... ولآءك لي في ضريحي منار
 واسمك لي في المضيق الشعار ... وحبك مدخلي جنتك
 بك المزيدي عليك دخیل ... إذا جاء أمر الإله الجليل
 ونادى المنادي الرحيل الرحيل ... وحاشاك تترك من لآذ بك

وقال الرافضي إبراهيم العاملي (لا رحمه الله):

أبا حسن أنت عين الإله ... وعنوان قدرته السامية
 وانت المحيط بعلم الغيوب ... فهل تعزب عنك من خافية
 وأنت مدير رحي الكائنات ... ولك أبحارها السامية
 لك الأمر إن شئت تُحيي غداً ... وإن شئت تسفع بالناصية

«ديوان الحسيني» (٤٨).

فحاصله: أن من أراد الله أن ينفعه بالعلم، يوفقه للعمل بالعلم، الكتاب والسنة وتطبيق ذلك، وأن من لم يعمل بالعلم أن ما كتبه، وما حفظه، لا ينفعه، يصير حجة عليه، وانظر إلى ذلك الذي: «تَنَدَلْتُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ

الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» (١).

وأخرج أحمد في «المسند» (١٢٢١١، ١٢٨٥٦)، قال: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُفْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟».

وقال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

وأعرف أناساً ممن كتبوا عن شيخنا رَحِمَهُ اللهُ، وحفظوا عنه، وكان يؤمل أن يكونوا علماء، لما لم يعملوا بما كتبوا وحفظوا ضاعوا وكانهم ما أخذوا من العلم شيئاً.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٩)، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال سفیان الثوري رحمه الله:

٥- يا شعيب بن حرب، لا ينفَعُكَ ما كتبتُ لك حتى لا تشهدَ لأحدٍ بجنةٍ ولا نارٍ إلا العشرة الذين شهد لهم رسولُ الله ﷺ، وكلهم من قريشٍ.

الشرح

وتقدم أن تذاكرنا أن سفیان يُعلِّم تلميذه أنه لا يتنفع بالعلم حتى يسير على عقيدة السلف المبنية على الأدلة من الكتاب والسنة في هذا وفي غيره، قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١)، وقال رسولُ الله ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ»^(٢)، فنفع عظيم يكتسبه الإنسان، بولائه للحق وأهله، وسيره على طريقة السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ويجد بركة في ذلك، البركة من الله وهي في الحق، وهذا طريق حق.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٨٠٢٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأدخلوا هذه المسألة في العقيدة: (مسألة الشهادة في الجنة والنار) في أمر العقيدة لأنه أمر غيبي، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ ولأن العبد لا يدري ما خاتمة هذا المرء الذي ما زال حيًّا، الخواتيم يعلمها الله، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا» (١).

وأيضًا هذا من التَّأَلَىٰ على الله؛ كونه يجزم بأن هذا للنار أو هذا للجنة بغير نصِّ الدليل عليه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» (٢).

فالشهادة لمن ليس يثبت دليل على الشهادة له بجنة أو نار حرام لهذه المعاني، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢١)، عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]،
فقال: لا ينفَعُكَ ما كَتَبْتُ لَكَ حَتَّى لا تَشْهَدَ لِأَحَدٍ بِجَنَّةٍ وَلا نارٍ إِلا العَشْرَةَ الَّذين
شَهِدَ لَهُم رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وَكُلُّهُم مِّن قَرِيشٍ.

قَوْلُهُ: (إِلَّا الْعَشْرَةَ):

أي: الَّذِينَ جَاءَ النَّصْرَ فِي حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَدَّةُ أَحَادِيثِ فِي
الشَّهَادَةِ لَهُمْ نَصًّا: فِلانٌ فِي الجَنَّةِ، فِلانٌ فِي الجَنَّةِ، فِلانٌ فِي الجَنَّةِ، هَكَذا، لَمَّا قَالَتْ
عائِشَةُ أُمَّ الْمُؤْمِنينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنائِزَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصافيرِ الجَنَّةِ لَمْ يَعمَلِ السُّوءَ وَلَمْ
يُدرِكْهُ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي
أَصْلابِ آبائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبائِهِمْ» (١).

وهكذا لما قالوا: فلان في الجنة، وكان حسب نظرهم، حسب ما يرون أنه
استشهد، قالوا: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشُّمْلَةَ لَتَلْتَهُبُ عَلَيْهِ نَارًا أَحَدَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصْبِهَا
الْمُقَاسِمُ»، قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٢).

أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»^(١)،
فهؤلاء شهدوا؛ لكن مع ذلك أطلع الله نبيه على خلاف ما رأوا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدْعِي الْإِسْلَامَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالَ
قَاتَلَ الرَّجُلُ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ، وَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَأَثَبْتَهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ
النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي تَحَدَّثْتَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ
قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ، فَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ
مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَابُ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ وَجَدَ الرَّجُلُ
أَلَمَ الْجِرَاحِ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَانْتَزَعَ مِنْهَا سَهْمًا فَانْتَحَرَ بِهَا، فَاسْتَدَّ رِجَالُ مَنْ
الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَدَقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ، قَدْ انْتَحَرَ
فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ، قُمْ فَأَذِّنْ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا
مُؤْمِنٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»^(٢).

وفي حديث أم العلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: اقْتَسَمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا

(١) أخرجه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٦)، ومسلم (١١١).

عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَأَنْزَلْنَاهُ فِي آيَاتِنَا^(١)، فَوَجَعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، فَلَمَّا تُوفِّيَ وَعُغْسَلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي»، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا^(٢).

قوله: «وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ»: هكذا يقول المؤمن.

وكذلك قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٩): وَتَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْمُرُوا اللَّهَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا تَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَتَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَتَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُقْنَطُهُمْ. اهـ.

فطريقة أهل السنة أنه يرجو لمن يرى فيه الخير الجنة، ويخاف على المسيء دون جزم إلا لمن نص الدليل عليه.

(١) أي: أنهم ناس من المهاجرين لآل فلان، وآل فلان، لما قدموا المدينة، وهذه طريقة عربية أصيلة، أنه إذا جاء ضيف كثير أنه يتعاون القبائل على إنزالهم واضيافهم وإكرامهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٣).

قوله ﷺ: «وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي»، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَرْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا: وهذا بعد أن أطلعه الله، قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فإذا صار هذا للتأديب في حق من لم يطلعه الله على مثل هذا.

أقول أهل العلم في هذه المسألة

قال أبو بكر الإسماعيلي في «اعتقاد أئمة الحديث» (٦٨):

ولا يقطعون على أحد من أهل الملة أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، لأن علم ذلك يغيب عنهم، لا يدرون على ماذا الموت؟ أعلى الإسلام؟ أم على الكفر؟ ولكن يقولون إن من مات على الإسلام مجتنباً للكبائر والأهواء والآثام، فهو من أهل الجنة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البينة: ٧]، ولم يذكر عنهم ذنباً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٧-٨].

ومن شهد له النبي ﷺ بعينه وصح له ذلك عنه، فإنهم يشهدون له بذلك، اتباعاً لرسول الله ﷺ وتصديقاً لقوله. اهـ.

وقال الصابوني رحمه الله في «عقيدة السلف أصحاب الحديث»:

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحدٌ بها يُحْتَمَ له، ولا يحكمون لواحدٍ بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحدٍ بعينه أنه

من أهل النار، لأن ذلك مُغَيَّبٌ عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان^(١). اهـ.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٦٨/٣٥):

وَهَذَا لَا يُشْهَدُ لِمُعَيَّنٍ بِالْجَنَّةِ إِلَّا بِدَلِيلٍ خَاصٍّ، وَلَا يُشْهَدُ عَلَى مُعَيَّنٍ بِالنَّارِ إِلَّا بِدَلِيلٍ خَاصٍّ؛ وَلَا يُشْهَدُ لَهُمْ بِمَجْرَدِ الظَّنِّ مِنْ أَنْدِرَاجِهِمْ فِي الْعُمُومِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَنْدَرُجُ فِي الْعُمُومِ فِيَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. اهـ.

ويدخل في هذه المسألة، قول بعض السلف: (الشهادة بدعة).

قَالَ أَبُو طَالِبٍ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (أحمد بن حنبل): الْبِرَاءَةُ بِدْعَةٌ، وَالْوَلَايَةُ بِدْعَةٌ، وَالشَّهَادَةُ بِدْعَةٌ؟

قَالَ: «الْبِرَاءَةُ أَنْ تَتَبَرَّأَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْوَلَايَةُ أَنْ تَتَوَلَّى بَعْضًا وَتَتْرُكَ بَعْضًا»^(٢)، وَالشَّهَادَةُ أَنْ تَشْهَدَ عَلَى أَحَدٍ أَنَّهُ فِي النَّارِ^(٣). اهـ. من «السنة» لأبي بكر بن الخلال (٤٧٩/٢).

(١) أعلى الإسلام أم على الكفر، الأعمال بالخواتيم، نسأل الله حسن الخاتمة.

(٢) يعني: صنيع الرافضة، وبعض النواصب، والعباهلة.

(٣) أو في الجنة.

وقال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٦٩٧/٢):

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: الشَّهَادَةُ بِدَعْوَةٍ، وَالْبَرَاءَةُ بِدَعْوَةٍ. يُرَوَى ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، مِنْهُمْ: أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُهُمْ.

وَمَعْنَى الشَّهَادَةِ: أَنْ يَشْهَدَ عَلَى مُعَيَّنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ أَنَّهُ كَافِرٌ، بِدُونِ الْعِلْمِ بِمَا خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِهِ. اهـ.

وهل يشهد لمن استفاض أمره، واشتهر بالصلاح، واتفقت الأمة على فضله وعلى صلاحه، فهل يُشهد له بالجنة؟

هذه مسألة ذكرها ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٥٣٩/٢)، قال:

وَلِلْسَلَفِ فِي الشَّهَادَةِ بِالْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٍ:

• أَحَدُهَا: أَنْ لَا يُشْهَدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَهَذَا يُنْقَلُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، وَالْأَوْزَاعِيِّ^(١).

• وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ جَاءَ فِيهِ النَّصُّ، وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ

(١) وهو قول ابن المديني، وغيرهم جماعة، وهو القول الصحيح: أنه لا يشهد إلا للأنبياء، ولمن بُشر بالجنة، ونص عليه الدليل.

الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ (١).

• **وَالثَّلَاثُ:** أَنَّهُ يُشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لَهُؤُلَاءِ (٢) وَلَمَنْ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: أَنَّهُ مَرَّ بِجِنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا بِخَيْرٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجِبَتْ»، وَمَرَّ بِأُخْرَى، فَأَثْنَيْ عَلَيْهَا بِشَرٍّ، فَقَالَ: «وَجِبَتْ». وَفِي رِوَايَةٍ كَرَّرَ: وَجِبَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجِبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»، وَقَالَ ﷺ: «تُوشَكُونَ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ»، فَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعْلَمُ بِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ. اهـ.

قوله: وَلَمَنْ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ:

كمن استفاض صلاحه، وعلمه، وورعه: كالإمام مالك، والشافعي، وأحمد، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم من أئمة الهدى، والصحابة أيضًا، يعني استدلوا بقوله: «وَجِبَتْ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»، حين أثنوا عليها خيرًا، وهذا بنص

(١) يعني: مزيدًا عن العشرة جاء النص به، وهذا قول صحيح أيضًا، أنه سيأتي أناس جاء النص أنهم من أهل الجنة غير العشرة.

(٢) يعني: لكل مؤمن جاء النص به.

النَّبِيِّ ﷺ، وذلك الثناء يستفيد منه المؤمن أنه إن مات على ذلك يُرجى له الخير، أنه ما جاء فيه النص؛ ولكن عنده مزيد أنسٍ أن هذا مات على الخير وعاقبته جيدة إن شاء الله، فيما نحسبه والله حسيبه.

«هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ»، هذا ردوا بأن هذا قول النبي ﷺ وهذا نصه، فليس لنا أن كل من أثني عليه نجزم له بهذا الجزم، أطلع الله على أمر غيبي لم يطلعنا الله عليه.

وقوله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قالوا: بِمَ ذَلِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»^(١)، أي: تستأنسون بذلك لا أنه جزم.

وهكذا رؤيا المؤمن، قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ»، أنه رُئي له ذلك، حتى الرؤيا أنه في الجنة وكذا يستأنس بها، والجزم في هذا نظر، وأطفال المشركين جاء النص أنه من مات على الفطرة أتهم في الجنة؛ لما ثبت في ذلك عن النبي ﷺ وأتهم في دوحه إبراهيم، وأطفال المؤمنين نُقل الإجماع أتهم في الجنة، نقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١)، وهو حديث صحيح.

قال في «التمهيد» (٣٤٨/٦): وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ أَطْفَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ...
وَلَا أَعْلَمُ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ فِي ذَلِكَ خِلَافًا. اهـ.

وقال النووي في «شرح على مسلم» (٢٦٦١): أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا. اهـ.

- **والراجع في الأقوال:** أن أطفال المشركين في الجنة أيضًا، في الحديث الطويل:
أنهم في دوحه إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
- **ومنهم من يقول:** يلحقون بأبائهم.
- **ومنهم من يقول:** هم في النار، وهذه أقوال فيها نظر.

بل حديث سَمْرَةَ بِنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ
مُعْتَمَةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى
رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ»، قَالَ: «قُلْتُ
لَهَا: مَا هَذَا مَا هُوَ لَاءٍ؟»، قَالَ: «قَالَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقِ»... إلى أن قال: «وَأَمَّا الرَّجُلُ
الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فِكُلُّ مَوْلُودٍ
مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»^(١)، هذا نص وهو في «الصحيح»،

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

وخارج «الصحيح» أيضاً قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١)، أي: إذا عرب عنه لسانه، أما إذا مات على الفطرة فأحكامه في الآخرة، فيما يتعلق بأحكام الآخرة هو في الجنة.

ويضاف إلى العشرة المذكورين جملة ممن نصَّ الدليل على أنهم من أهل الجنة، فقد بشر: **أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، جعلتهم مبشرون بالجنة.

وأما من حيث العموم، فإنه يُشهد لسائر الصحابة، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُوقَفُونَ أَفْوَاجًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٠٠)، وهذا وأمثاله نصٌّ.

وهكذا الكل من مات على توحيد الله، وعلى الإيمان، من حيث الجملة، لا يقال: فلان في الجنة بعينه؛ ولكن العموم، كما أن لعن المعين لا يجوز، واللعن بالوصف يجوز، وفي هذا الباب أيضاً يقال: من حيث الجملة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾^(١٠٧) خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا^(١٠٨)

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (١).

وَأِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا تُوِّفِيَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَهُ مَرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ» (٢).

وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مَزَاحِمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ» (٣)، وَفِي رِوَايَةٍ: «سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ» (٤)، كُلُّ هَذِهِ نِصُوصٌ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟»، قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: «فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٥)، أَيُّ فِي الْجَنَّةِ.

(١) أخرجه أحمد (١٠٩٩٩)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٢)، عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالحديث صحيح في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»، وفي غيره.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٦٨)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(٤) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٣٦، ١٥٧٦).

(٥) أخرجه ابن حبان (٧٠٩٥)، وَالحديث في «الصحيحة»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَحَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وسائر زوجات النَّبِيِّ ﷺ في الجنة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ لِي جَبْرِيلُ: رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ» (١).

وَحَدِيثُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَيضًا، تقدم ذكرها مع غيرها، وجاء أيضًا: «بَشِّرُوا خَدِيجَةَ بَيْتٍ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ» (٢).

وَمَاشِطَةُ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، كما جاء فيه الدليل أنها في الجنة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلِيَّ رَائِحَةً طَيِّبَةً، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟، فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا» (٣).

وَأَمْرَأَةُ أَبِي طَلْحَةَ، أُمُّ سُلَيْمٍ، الرُّمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ، أُمُّ أَنَسٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، أَمْرَأَةٍ أَبِي طَلْحَةَ» (٤).

وَالْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ - أُمُّ زَفْرٍ - التي كانت تصرع، كما في حديث ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

(١) أخرجه البزار (١٤٠١)، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٩٢)، ومسلم (٢٤٣٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٢١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٤٥٦)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ لِعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتِ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ»، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا^(١)، فَقَدْ ثَبَتَتِ الْبَشَارَةَ أَنهَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، هُمَا - سَاقِهِ - أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(٢)، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ»، وَقَدْ سَأَلَ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةً نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ»^(٣)، فَبَشَّرَهُ أَنَّهُ اسْتَجِيبَ دَعَاؤَهُ.

وَالْمَرْأَةُ الَّتِي شَقَّتِ التَّمْرَ لِابْنَتَيْهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَتَتْهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطَعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٤٢٥٥).

كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا^(١)، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا^(٢)، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»^(٣)، يَعْنِي: بِسَبَبِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ لِابْنَتِهَا، فِيهِ فَضِيلَةُ الرَّحْمَةِ لِلْأَبْنَاءِ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، الرَّحْمَةُ لِلْمَسَاكِينِ، وَلِلْأَطْفَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾^(٤) [البلد: ١٧].

والمرأة التي كانت تحسن إلى جيرانها، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهُا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فَلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقْطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»^(٤).

وعجوز بني إسرائيل، على نكارة في الحديث، وابن كثير ينكرها؛ لكن ذكروا هذا وما ذلك على الله بعزير، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيًّا

(١) أي: رحمة لابنتها وهي في أمس الحاجة من الجوع.

(٢) أي: تعجبت منها، مع شدة احتياجها لها، وما هي إلا ثلاث تمرات، واحدة لها، واثنتان لابنتها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٣٠).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٩٦٧٥)، وهو في «الصحيححة» للألباني رَحْمَةُ اللَّهِ (١٩٠).

فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: «اِتَّبِنَا»، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلْ حَاجَتَكَ»، قَالَ: نَاقَةٌ نَرَكَبُهَا، وَأَعْنَزُ يَجْلِبُهَا أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: «إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، فَقَالَ عَلَمًاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟، قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: ذُلِّبِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي، قَالَ: وَمَا حُكْمُكَ؟، قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكِرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ أَعْطِيَهَا حُكْمَهَا، فَاَنْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةِ مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ، فَاَنْضِبُوهُ، فَقَالَتْ: احْتَفِرُوا، فَاَحْتَفِرُوا، فَاَسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقْلَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلَ ضَوْءِ النَّهَارِ» (١).

وَأَبُو الدَّحْدَاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمْ مِنْ عِدْقٍ مُعَلَّقٍ - أَوْ مُدَلِّ - فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ» (٢).

(١) أخرجه ابن حبان (٧٢٣)، وأبو يعلى «المسند» (٧٢٥٤)، والحاكم في «المستدرک» (٤٠٨٨)، حسنه الشيخ الألباني، وانكره ابن كثير.

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٥)، عن جابر بن سمرّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثِدٍ الْغَنَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَوْمَ حُئَيْنٍ -: «مَنْ يَجْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟»، قَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثِدٍ الْغَنَوِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَارْكَبْ»، فَارْكَبَ فَرَسًا لَهُ فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَقْبِلْ هَذَا الشُّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ، وَلَا تُغْرَنَّ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ»، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مُصَلَّاهُ، فَارْكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَحْسَسْتُمْ فَارِسَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَسْنَاهُ فُتُوبَ بِالصَّلَاةِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى الشُّعْبِ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبَشِّرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ فَارِسُكُمْ»، فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَى خِلَالِ الشَّجَرِ فِي الشُّعْبِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى هَذَا الشُّعْبِ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اطَّلَعْتُ الشُّعْبَيْنِ كِلَيْهِمَا فَنَظَرْتُ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ نَزَلَتِ اللَّيْلَةَ؟» قَالَ: لَا، إِلَّا مُصَلِّيًّا أَوْ قَاضِيًّا حَاجَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَوْجَبَتْ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ بَعْدَهَا»^(١)، أَي: أَوْجِبَتْ لَكَ الْجَنَّةَ.

وَأُوَيْسُ الْقُرَنِيُّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٠١).

بُرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:
فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ^(١)، هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَرِيحًا؛ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ
النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَيْدُخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي، أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ سِوَاكَ؟ قَالَ: «سِوَايَ»^(٢)، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ أُوَيْسُ الْقُرْنِيِّ.

وَبِلَّالُ بْنُ رَبَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ - عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ -: «يَا بِلَالُ
حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ ذَكَرَ نَعْلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»
قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةٍ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا
صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ^(٣).

وَتَابِتُ بْنُ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ^(٤)، جَلَسَ تَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي
بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ سَعْدُ بْنُ
مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ تَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٦)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْجَدْعَاءِ، وَهُوَ فِي «صَحِيحِ الْمَفَارِيدِ» بِرَقْمِ (٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٩).

(٤) وكان جهوري الصوت.

عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَاتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (١).

وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُرَيْتُ جَعْفَرًا مَلَكًا يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ فِي الْجَنَّةِ» (٢).

وَحَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّمَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» (٣).

وَحَارِثَةُ بْنُ التُّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِيٍّ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ التُّعْمَانِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ»، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمَّهِ (٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٠٤٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢٥١٨٢)، والحديث في «الصحيحة» للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ رقم: (٩١٣).

وَحَاطِبُ بْنُ بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْدُخَلَنَ حَاطِبُ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» (١).

«اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»، أَهْلُ بَدْرٍ أَيْضًا، مَبْشُرُونَ بِالْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» (٢)، أَي: أَنَّ خَوَاتِمَهُمْ دَالَةٌ عَلَى خَيْرٍ، وَأَنَّهِمْ يَمُوتُونَ عَلَى خَوَاتِمٍ طَيِّبَةٍ، وَأَنَّهُمْ كَذَلِكَ أَيْضًا لَهُمُ السَّابِقِيَّةُ.

وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ عَيْنَاكَ لِمَا بَيْنَهُمَا مَا كُنْتَ صَانِعًا؟»، قَالَ: قُلْتُ: لَوْ كَانَتْ عَيْنَايَ لِمَا بَيْنَهُمَا صَبَرْتُ وَاحْتَسَبْتُ، قَالَ: «لَوْ كَانَتْ عَيْنَاكَ لِمَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ، لَلْفَيْتَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ وَلَا ذَنْبَ لَكَ»، قَالَ إِسْمَاعِيلُ: «ثُمَّ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ، لَأَوْجَبَ اللَّهُ لَكَ الْجَنَّةَ» (٣)، هَذَا عَامٌّ لَيْسَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هَذَا لِمَنْ كَانَ لَهُ ذَلِكَ فِي الْعَمُومِ.

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٩٣٤٨)، وَهُوَ مُنْجَرَجٌ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْتَدْرَكِ» لِشَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ رَقْمًا: (٣٤٣).

وهكذا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ لَزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ دَرَجَتَيْنِ»^(١)، أي: في الجنة.

وزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَاسْتَقْبَلْتَنِي جَارِيَةٌ شَابَّةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ؟، قَالَتْ: أَنَا لَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ»^(٢).

أحاديث منها: ما هو في «الصحيحين»، أو في أحدهما، أو في «الصحيحة»، أو في «الصحيح المسند»، أو فيها.

وسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْجَنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَيَّ ثَلَاثَةً: عَلِيًّا، وَعَمَّارًا، وَسَلْمَانَ»^(٣).

وأيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَضَعَّ رَسُولُ اللَّهِ

(١) أخرجه ابن عساکر (٥١٢/١٩) رقم: (٤٥٧١)، وهو في «الصحيحة» للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤٠٦).

(٢) أخرجه ابن عساکر (٣٧١/١٩) رقم: (٤٥٠٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٩٨/١) رقم (٢٥٦)، وهو في «الصحيحة» للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٨٥٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٩٧)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حُسِّنَ الْحَدِيثُ، وَبَعْضُهُ فِي «الضعيفة».

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَاءِ، لَنَا لَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ» (١).

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجِيءُ رَجُلٌ مِنْ هَذَا الْفَجِّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْكُلُ هَذِهِ الْفُضْلَةَ»، قَالَ سَعْدٌ: وَكُنْتُ تَرَكْتُ أَخِي عُمَيْرًا يَتَوَضَّأُ، قَالَ: فَقُلْتُ: هُوَ عُمَيْرٌ، قَالَ: «فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَأَكَلَهَا» (٢).

وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» (٣)، أَي: مِنَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَوَالِدُهُ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ» (٤).

وَعُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةِ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» رقم: (١٤٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٦٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (١٥٠٨)، وأبو نعيم في «معرفه الصحابة» (٧٦٨٩)، وغيرهم.

عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَةٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْتُنِي أَنَا حَيِّتٌ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِهَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ (١).

وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا أيضاً الرجل الذي سقى كلباً، «فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ» (٢)؛ لكن هذا من

أسباب توفيقه.

وَصُنِّفَ فِيهَا بَعْضُ الرِّسَالِ الْمُسْتَقَلَّةِ فِي الَّذِينَ يُشْرَوْنَ بِالْجَنَّةِ جَمَلَةً، وَالَّذِينَ يَشْرَوْنَ بِالْجَنَّةِ نَفْصِيلاً، وَأَعْلَاهُمْ وَذُرُوتُهُمْ فِي ذَلِكَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْعَشْرَةَ الْمَبْشُرُونَ بِالْجَنَّةِ.

وتلخيص ذلك: أنه لا يُشْهَدُ بِالنَّارِ إِلَّا مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ بِالنَّصِّ، مِثْلَ أَبِي

لَهَبٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۗ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۗ سَيَصْلَىٰ

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٣)، ومسلم (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَأَمْرَاتُهُ ۝ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ [المسد: ١-٥]، هو وامراته، والشيطان دَلَّ الدليل على أنهم من أهل النار.

ولا يُشهد بالجنة إلا لمن دَلَّ الدليل أنه من أهل الجنة نصًّا، وفي العموم أنبياء الله في الجنة مشهودٌ لهم بذلك، وسائر المؤمنين في العموم مشهودٌ لهم بالجنة، والصحابة مشهودٌ لهم في العموم.

أما على التفصيل: فالعشرة، ومن جاء الدليل بالنص له كهؤلاء الذين ذكرنا بعضهم بأدلة صحيحة.

فَقَوْلُهُ: (إِلَّا الْعَشْرَةَ): يعني: من جاء النص به، وإلا فيُشهد لمن شهد له الدليل.



قال سفیان الثوري رَحِمَهُ اللهُ:

٦- يا شعيبُ بنَ حربٍ، لا ينفَعُكَ ما كتبتُ لكَ حتى ترى المسحَ على الخُفَّينِ دونَ خلعهما أعدلَ عندَكَ مِن غسلِ قدميكَ.

الشرح

قَوْلُهُ: (يا شعيبُ بنَ حربٍ، لا ينفَعُكَ ما كتبتُ لكَ حتى ترى المسحَ على الخُفَّينِ دونَ خلعهما أعدلَ عندَكَ مِن غسلِ قدميكَ):

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ في «العقيدة الطحاوية» (٧٦): وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ. اهـ.

أدخلوا هذا في العقيدة ردًّا على الرافضة الذين يرون أنه لا يصلح المسح على الخفين مع تواتر أحاديثها، كما قيل (١):

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبَ ... وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ
وَرُؤْيَاهُ شَفَاعَةٌ وَالْحَوْضُ ... وَمَسَحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

قال بن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٥٥١/٢): تَوَاتَرَتِ السُّنَّةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَبِعَسَلِ الرَّجُلَيْنِ، وَالرَّافِضَةُ تُخَالِفُ هَذِهِ السُّنَّةَ الْمُتَوَاتِرَةَ. اهـ.

(١) انظر «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» لمحمد بن جعفر الكتاني (١٨).

أهل السنة يُدخلون هذا في الإيمان، وأنه لا ينتفع الإنسان إلا بتميزه مع أهل السنة، وطريقتهم، وعقيدتهم، حتى يرى أن المسح على الخفين مستحب، وأنه طريقة أهل السنة، وأنه إن كان لابسا لها إن كان على طهارة لا يخلعها، وإن كان خالعا لها لا يتعمد لبسها من أجل أن يمسخ عليها، والأفضل أن يمسخ عليها مخالفة لأهل الباطل وعملا بالدليل.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «نَزَادِ الْمَعَادِ» (١/١٩٢):

صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ مَسَحَ فِي الْحَضْرِ وَالسَّفَرِ، وَلَمْ يُنْسَخْ ذَلِكَ حَتَّى تُؤْفَى، وَوَقَّتَ لِلْمَقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَلِلْمَسَافِرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثِ حَسَانٍ وَصِحَاحٍ، وَكَانَ يَمَسُحُ ظَاهِرَ الْخُفَّيْنِ، وَلَمْ يَصَحَّ عَنْهُ مَسْحُ أَسْفَلِيهَا إِلَّا فِي حَدِيثٍ مُنْقَطِعٍ. وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَلَى خِلَافِهِ، وَمَسَحَ عَلَى الْجُورِيِّينَ وَالنَّعْلَيْنِ، وَمَسَحَ عَلَى الْعِمَامَةِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهَا وَمَعَ النَّاصِيَةِ، وَتَبَتَ عَنْهُ ذَلِكَ فِعْلًا وَأَمْرًا فِي عِدَّةِ أَحَادِيثٍ، لَكِنْ فِي قَضَايَا أَعْيَانٍ يُجْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ خَاصَّةً بِحَالِ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ، وَيُجْتَمَلُ الْعُمُومُ كَالْخُفَّيْنِ وَهُوَ أَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّفُ ضِدَّ حَالِهِ الَّتِي عَلَيْهَا قَدَمَاهُ، بَلْ إِنْ كَانَتْ فِي الْخُفِّ مَسَحَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَنْزِعْهُمَا، وَإِنْ كَانَتْ مَكْشُوفَتَيْنِ غَسَلَ الْقَدَمَيْنِ وَلَمْ يَلْبَسِ الْخُفَّ لِيَمَسَحَ عَلَيْهِ، وَهَذَا أَعَدَّلَ الْأَقْوَالَ فِي مَسْأَلَةِ الْأَفْضَلِ مِنَ الْمَسْحِ وَالْغَسْلِ، قَالَهُ شَيْخُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

قَالَ سَفِيَّانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧- يَا شَعِيبُ بْنُ حَرْبٍ، لَا يَنْفَعُكَ مَا كَتَبْتُ لَكَ حَتَّى يَكُونَ إِخْفَاءٌ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ عِنْدَكَ مِنْ أَنْ تَجْهَرَ بِهَا.

الشرح

قَوْلُهُ: (لَا يَنْفَعُكَ مَا كَتَبْتُ لَكَ حَتَّى يَكُونَ إِخْفَاءٌ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ عِنْدَكَ مِنْ أَنْ تَجْهَرَ بِهَا):

هذه المسألة أدخلها في العقيدة؛ لأنَّ الأدلة الثابتة في الإسرار بها، ولم يثبت في الجهر بها حديث، كما أبنا ذلك في «أحكام الجمعة وبدعها».

ونقل هذا عن الثوري وغيره، الحافظ ابن رجب في «الفتح» (٣٨٠/٤) تحت باب رقم: (٨٩)، حديث (٧٤٣)، فقال:

وكان سَفِيَّانُ الثَّوْرِيُّ وغيره من أئمة الأمصار يعدون الإسرار بالبسملة من جملة مسائل أصول الدين التي يتميز بها أهل السنة عن غيرهم، كالمسح على الخفين ونحوه، حَتَّى قَالَ سَفِيَّانُ لَشَعِيبِ بْنِ حَرْبٍ: لَا يَنْفَعُكَ مَا كَتَبْتُ حَتَّى تَرَى أَنَّ إِخْفَاءَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، أَفْضَلُ مِنَ الْجَهْرِ بِهَا.

وَقَالَ وَكَيْعٌ: لَا يَصِلُ خَلْفَ مَنْ يَجْهَرُ بِهَا. اهـ. وساق جملة من الآثار في ذلك، في باب (٨٩)، باب مَا يَقُولُ بَعْدَ التَّكْبِيرِ، إنما في أثناء الكلام.

وكان الأئمة ينقلون من هذه العقيدة في كتبهم، وهذا نص على النقل منها،
وأن عقيدة سفیان الثوري **رَحْمَةُ اللَّهِ** هذه ثابتة إليه بيقين كما في هذا النقل، وكما سبق
نقلهم في مقدمة الرسالة.



قال سفيان الثوري رحمه الله:

٨- يا شعيب بن حرب، لا ينفَعُكَ الذي كتبتُ حتى تؤمنَ بالقدرِ خيرِه
وشرِّه حلوه ومرِّه كلُّ من عندِ الله.

الشرح

تعريف القدر:

قال ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١١٨/١)، - شرح حديث جبريل، عن أبي
هريرة رضي الله عنه رقم (٥٠) -:

وَالْقَدْرُ مَصْدَرٌ تَقُولُ: قَدَرْتُ الشَّيْءَ بِتَخْفِيفِ الدَّالِّ، وَفَتْحِهَا أَقْدَرُهُ بِالْكَسْرِ
وَالْفَتْحِ قَدَرًا وَقَدَرًا إِذَا أَحْطَتْ بِمَقْدَارِهِ.

والمُرَادُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مَقَادِيرَ الْأَشْيَاءِ^(١)، وَأَزْمَانَهَا قَبْلَ إِجْادِهَا ثُمَّ
أَوْجَدَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يُوجَدُ فَكُلُّ مُحَدَّثٍ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ
هَذَا هُوَ الْمَعْلُومُ مِنَ الدِّينِ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ، وَعَلَيْهِ كَانَ السَّلْفُ مِنَ الصَّحَابَةِ،
وَخِيَارِ التَّابِعِينَ. اهـ.

(١) تعريفه شرعاً: أنَّ الله علم مقادير الأشياء، فالقدر هو علم الله، حتى كانوا يقولون: حاجوهم
بالعلم، فمن أنكر علم الله فقد كفر، أي: القدرية النفاة.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (١٠١/١٠):

والإيمان بالقدر: هو أن تؤمن بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ للأشياء كلها، سواء ما يتعلق بفعله أو ما يتعلق بفعل غيره^(١)، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قَدَّرَهَا^(٢) وكتبها عنده قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ومعلوم أنه لا كتابة إلا بعد علم، فالعلم سابق على الكتابة، ثم إنه ليس كل معلوم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مكتوبًا؛ لأنَّ الذي كتب إلى يوم القيامة، وهناك أشياء بعد يوم القيامة كثيرة أكثر مما في الدنيا هي معلومة عند الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنه لم يرد في الكتاب والسنة أنَّها مكتوبة. اهـ.

«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٣)، أي: من مقادير الدنيا، والكون،

(١) يعني: إذا حصل لك شيء من الناس بقدر الله، من الجن، من الإنس، من الحيوانات، من الحشرات، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

(٢) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، أي مصيبة تحصل للإنسان بإذن الله، بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الواجب الإيمان بالله وبقدره، قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، أي مصيبة تحصل في الأرض أو في أنفسكم أي: فيكم، ذلك في كتاب الله، في تقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من قبل أن توجد تلك الأنفس، «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥).

والخلق، وما كان من ذلك، وهناك أمور مما علمها الله في الآخرة بعد يوم القيامة.

والقدر ينقسم إلى: خير، وشر، كله من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والدليل على ذلك

ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ^(١)، فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا، وَحَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيرِيِّ حَاجِّينَ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِّنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ، فَوَفَّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاکْتَفَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدْنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَّقِفُونَ الْعِلْمَ^(٢)، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَتَمَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ

(١) وهذا معناه: أن تاريخ القدرية مُحدث في أواخر زمن الصحابة، زمن عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، والقدر كان معدنه في البصرة، فإذا جاء رجل من البصرة اختبروه في أمر القدر، وإذا جاء عند أهل الحديث رجل من الكوفة اختبروه في أمر التشيع.

(٢) قال النووي في «شرح مسلم» رقم (٨): قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: وَرَأَيْتُ بَعْضَهُمْ قَالَ فِيهِ: (يَتَّقِفُونَ) بِالْعَيْنِ، وَفَسَّرَهُ بِأَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ فَعْرَهُ، أَيْ: عَامِضَهُ وَخَفِيَّهُ، وَمِنْهُ: تَقَعَّرَ فِي كَلَامِهِ إِذَا جَاءَ بِالْغَرِيبِ مِنْهُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي يَعْلَى الْمُوَصِّلِيِّ (يَتَّقِفُونَ) بِيَزَادَةِ الْهَاءِ. اهـ.

ومضمونه يستخرجون خفيه، يتبعونه، فهم طلاب علم، فيهم تعنت، فيهم تقعر، فيهم تكلف، عندهم هذه الأوصاف.

لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ (١).

قَالَ (ابْنُ عُمَرَ): «فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلِيكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَتَمُّهُمْ بَرَاءً مِنِّي»، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ» (٢)... ثم ساق حديثَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «وَتُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ».

وفي الباب جملة أحاديث، منها: حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ

(١) ومعنى: «أَنَّ لَا قَدَرَ»: أن الله ما علم الأمور قبل حدوثها، «وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ»: أي: ما علم الأمور إلا بعد حدوثها، وهذا إنكار القدر، إنكار علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال النووي في «شرح مسلم»: قَوْلُهُ: (يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ)، أَي: مُسْتَأْنَفٌ لَمْ يَسْبِقْ بِهِ قَدَرٌ وَلَا عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَعْدَ وَقُوعِهِ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَوْلُ غُلَّامِهِمْ - (غلاة القدرية الذين نفوا علم الله، وهؤلاء اتفق أهل العلم على تكفيرهم كما في «السنن» لأحمد، وغيره) -، وَلَيْسَ قَوْلُ جَمِيعِ الْقَدَرِيَّةِ، وَكَذَبَ قَائِلُهُ وَضَلَّ وَأَفْتَرَى عَافَانَا اللَّهُ وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ. اهـ.

(٢) وهذه فتوى من عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بتكفيرهم؛ لأنه إن لم يقبل منهم هذا القدر كله، وسائر أعمالهم؛ فإنه لا يتقبل من غير المسلم، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَسْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال النووي في «شرح مسلم» (٨): قَوْلُهُ: «مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ»: ظَاهِرٌ فِي التَّكْفِيرِ؛ فَإِنَّ إِجْبَاطَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْكَفْرِ، إِلَّا أَنَّهُ يُجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي الْمُسْلِمِ لَا يَقْبَلُ عَمَلُهُ لِمَعْصِيَتِهِ، وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي الدَّارِ الْمُغْصُوبَةِ صَحِيحَةٌ، غَيْرُ مُجَوِّبَةٍ إِلَى الْقَضَاءِ عِنْدَ جَاهِرِ الْعُلَمَاءِ، بَلْ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ، وَهِيَ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ فَلَا ثَوَابَ فِيهَا عَلَى الْمُخْتَارِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ» (١).

وقد استفيد من هذا الحديث تأريخ القدر أنه محدث، أول من قال به معبد الجهني فاستفيد تأريخه ومحدثه من هذا الحديث.

أدلة الإيمان بالقدر كثيرة منها:

• حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» (٢).

• وثبت عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٢١٧)، و«كتاب القضاء والقدر» للبيهقي (٣)، أنه قال: (لَأَنَّ أَعْصَى عَلَى جَمْرَةٍ وَأَقْبَضَ عَلَيْهَا حَتَّى تَبْرُدَ فِي يَدَيَّ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ لَشَيْءٍ قَضَاهُ اللَّهُ: لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، وهو حديث صحيح.

(٣) وهو من أحسن ما صنّف في ذلك، أثنى عليه النووي وغيره، **قُلْتُ**: وأحسن منه ما صنّفه بعده الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو كتاب «شفاء العليل»، وقد جمع شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الجامع الصحيح في القدر» جمعاً مهماً متحرّياً في ذلك صحاح الأحاديث.

• وثبت من حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ ابْنَ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذِّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ^(١)، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ^(٢)، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبَلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»^(٣)، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ.

وفي هذا، مع حديث بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ مَاتَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ، وَخَلَّ بَرَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، بَلْ وَفِي الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ

(١) أي: بذنوبهم وتقصيرهم في جناب الله سبحانه.

(٢) قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»، فَرَحْمَةُ اللَّهِ أَوْسَعُ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ رَقْمَ (٤٦٩٩)، وَأَحْمَدُ رَقْمَ (٢١٦١١). حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْتَدْرَكِ» لِشَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [المرسلات: ٢٣]، وغير ذلك من الأدلة.

فهذه الأدلة كلها وغيرها كثير مما ساقه الإمام مسلم في كتاب القدر، وألف فيه شيخنا رَحْمَةُ اللَّهِ، في صحيح أدلة القدر كتابًا حافلًا.

وَقَوْلُهُ: (بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ):

القدر لا شك أنه يحصل للمخلوق منه خير له، ومنه شر عليه، فالأمراض، والأسقام، والآلام، والفتن على الإنسان، يراها شرًا، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

أما من الله عَزَّجَلَّ فليست إلا خير، قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦٦﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ [الفرقان: ٢]، وقول النبي ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»^(١)، يؤيد هذا القول أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَمِيع ما يفعله خير وإن كان الإنسان في بعض حالاته يراه شرًا، وقد أبان عن ذلك هذا الحديث: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ».

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَفَاءِ الْعَلِيلِ» (٢٦٩):

فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله^(١)، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر ويكون شرًّا بالنسبة إلى محل وخيرًا بالنسبة إلى محل آخر^(٢)، وقد يكون خيرًا بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه، بل هذا هو الغالب وهذا كالتقصاص، وإقامة الحدود، وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة، فالخير والشر من جنس اللذة والألم والنفع والضرر وذلك في المقضي المقدر لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به، فإن قطع يد السارق شر مؤلم ضار له، وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل، وخير، وحكمة، ومصلحة. اهـ.

(١) وبعضهم يقول: في مخلوقاته ومفعولاته لا في فعله، ففعله كله خير **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يفعل الخير، بيده الخير؛ ولكن خلقه وفعله للبلوى، في مفعولاته ومخلوقاته.

(٢) يعني كما يقال: مصائب قوم عند قوم فوائد، بالنسبة لذلك قد يكون هذا خيرًا له، وأنت قد يكون شرًّا بالنسبة لك، وعند الله هو خير، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، **عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**، أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

ألا ترى هذا أن القصاص، وقطع يد السارق، هذا بالنسبة إلى المفعول به شر؛ لكن هذا خير من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حياة للعباد، صيانة لمالهم، صيانة لدمائهم، صيانة لأعراضهم، وغير ذلك من الخير والمنافع للعباد.

قد يحصل لك مرض قد تراه شراً عليك، وضرراً عليك، وتعباً عليك؛ لكن يعلم الله لك فيه خيراً، لحديث: «يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١)، ومع ذلك يعلم لك خيراً في الموت وأن الآخرة خير لك من الدنيا، ويعلم لك خيراً في المرض أنك تتوب إلى الله أو تكفر سيئاتك، وشكر نعمة العافية، ومعرفة حقوق الضعفاء، والرحمة بهم، والتواضع، وكسر كبر النفس، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، فكلام ابن القيم على هذا الحديث كلام جيد، «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»، أي: أن الشر خلقه الله؛ لكن لم يفعل الشر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بل يفعل الخير، بيده الخير، وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** متصف بالخير لا بالشر.

فهذا معنى: «وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، القدرية آمنوا بالقدر خيره، ولم يؤمنوا بشره، وقالوا: الصحة، والمطر، والنعمة، هذا كله بقدر؛ لكن لا يقال: الزنا، والفجور، والقتل، والضرب، والأذى الذي يحصل لي، والأمراض، هذا الشر كله من خلق الله! ما قدره الله علي! من هنا ضلوا لما لم يثبتوا لله أنه خلق

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، ومسلم (٢٦٨٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا الشر وإن كان ليس متصفاً به ضلوا فهموا فهماً سيئاً، وصاروا مشركين، فالقدرية مشركون في الربوبية، أثبتوا خالقين اثنين، واحد يخلق الخير والآخر يخلق الشر، والله يقول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فيقولون: الله يخلق الخير، والإنسان يخلق فعل نفسه، فما من واحد عندهم إلا هو خالق، أي واحد يفعل الشر خالق، الزاني، السكران، القاتل، الخ، هذا كله خلق فعل نفسه، صاروا مشركين وأثبتوا خالقين ما هو خالق واحد خلق فعل نفسه.

فيجب عليك أن تؤمن بالخير والشر من الله، وأن الله خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقد تضمنت هذه الفقرة ما دلت عليه الأدلة: أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وذكره في حديث جبريل، وأن هدمه هدم للإيمان، للأدلة منها: عن أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وحذيفة، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، - ولم يخالفهم أحد من الصحابة -، بإجماع الصحابة: أن من مات ليس مؤمناً بالقدر مات على غير الإيمان، وابن عمر يحكم على من مات من القدرية: أنه لو أنفق مثل أحد ذهباً أنه غير مؤمن، وابن مسعود يقول: من مات على ذلك مات للنار.

نقل الإجماع

قال شيخ الإسلام في «العقيدة الواسطية»: «وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، (أي: من الله تعالى). اهـ.

وقال اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/١٩٣):

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَوَاسِطَ وَبَغْدَادَ وَالشَّامَ وَمِصْرَ لَقِيتُهُمْ كَرَّاتٍ قَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ ثُمَّ قَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ، أَدْرَكْتُهُمْ وَهُمْ مُتَوَافِرُونَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، أَهْلَ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْجَزِيرَةَ مَرَّتَيْنِ وَالْبَصْرَةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي سِنِينَ ذَوِي عَدَدٍ بِالْحِجَازِ سِتَّةَ أَعْوَامٍ، وَلَا أَحْصِي كَمَ دَخَلْتُ الْكُوفَةَ وَبَغْدَادَ مَعَ مُحَدِّثِي أَهْلِ خُرَّاسَانَ...، فَمَا رَأَيْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ: وَأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِقَدْرِ. اهـ.

وقال ابن قتيبة، في سياق كلامه في «تأويل مختلف الحديث» (٦٤): أَصْحَابُ الْحَدِيثِ

كُلُّهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. اهـ.

وقال أبو حاتم الرازي، وأبو زرعة الرازي: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا

وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ: وَالْقَدْرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. اهـ من

«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١/١٩٤-١٩٧).

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١-٣].

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ فِيهِ (تفسيره):

يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أئِمَّةُ السُّنَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدْرِ اللَّهِ السَّابِقِ لِخَلْقِهِ، وَهُوَ عِلْمُهُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَكِتَابَتَهُ لَهَا قَبْلَ بُرُئِهَا. اهـ.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

ومن هذا الباب أن القدر قدرة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

قال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٧/٨):

اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ وَسَائِرُ أَهْلِ الْمِلَلِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ جِدًّا. اهـ.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ

عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال ابن حزم: أجمعت الأمة على القول بقدره الله عزَّجَلَّ. اهـ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٧]، وغير ذلك من الأدلة في إثبات القدرة لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**.

مراتب القدر

١- القدر له مراتب، المرتبة الأولى: مرتبة العلم:

قال ابن العربي في «شرح الطحاوية»:

يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]. اهـ.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال ابن قتيبة **رَحِمَهُ اللَّهُ «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية» (٢٥):** لم يقل أحد من الناس أن شيئاً يحدث في الأرض لا يعلمه الله. اهـ.

يعني: ما أحد قال هذا بل كل ما يحدث في الأرض يعلمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** لا يخفى

عليه شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وإذا قال بعضهم: هل الله يعلم له شريك؟! معناه أن الله لا يعلم له شريكاً!

يقال: هذا معدوم، فلو كان شيئاً لكان معلوماً لله لكن هذا لا يوجد، الشريك

لله حقاً لا يوجد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنْتَوْنَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي

الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

فلا يلغز بهذا، هناك شيء لا يعلمه الله، وهو الشريك له!، غلط أن يقال:

(شيء)، و(لا يعلمه الله)؛ لأنه معدوم، لا يوصف بأنه شيء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨٢﴾﴾ [النساء: ١٧٦].

٢- المرتبة التي تليها من القدر: مرتبة الكتابة:

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي

غَلَبَتْ غَضَبِي»^(١)، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكتب في الذكر كل شيء، وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ

أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ [الرعد: ٣٩].

والكتابة أقسام:

• منها: **الكتابة الأزلية:** كما في حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» (١)، وحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» (٢).

• **والكتابة العمرية:** مثل حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»، فهو مكتوب عليهم من ذلك الوقت من حين ينفخ فيه الروح أنه صائر إلى ذلك.

• **والكتابة اليومية:** قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، القدر اليومي.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

• **الكتابة العامية:** السنوية، قال تعالى: ﴿حَمِّمُوا الْأَكْتَابَ الْمُمِينَ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ [الدخان: ١-٤]،

جاء عن ابن عباس، وجاء عن غيره، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ
إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي السَّعَادَةِ فَأَثْبِتْنِي فِيهَا، وَإِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي عَلَى الشَّقْوَةِ فَأَمْحِنِي مِنْهَا
وَاثْبِتْنِي فِي السَّعَادَةِ) (١).

• **وكتابة التكليف:** وهو قلم كتابة كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ:

عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَخْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ» (٢)،
وهذا معناه: ما يتعلق بالكتابة.

٣- المرتبة التي تليها المشيئة:

والمشيئة ترادف الإرادة الكونية فقط، لا ترادف الإرادة الشرعية، فإن أهل
السنة يؤمنون بالمشيئة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٢٠١/٨): اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى

أَنَّهُ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. اهـ.

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧٣٥/٤) رقم (١٢٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٤٠٣)، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ (١):

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتَ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ... فِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتْى وَالْمُسِنُ
عَلَى ذَا مَنْنَتٍ وَهَذَا خَدَلْتُ ... وَهَذَا أَعْنَتَ وَذَا لَمْ تُعِنِ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ

والعبد له مشيئة خاضعة، وتابعة لمشيئة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا

أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

٤- مرتبة الخلق:

أنَّ الله خلق القدر، الخير والشر، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ

تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى:

﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وحديث: «إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ» (٢)، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧٧٦/٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٨٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٦)، عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، فخلقك وخلق عملك، أي عمل تعمله هو مخلوق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولكن لا ينفي عمل الإنسان، ويضاف إليه ما صنعه من خير وشر، على خير يثاب، وعلى شر يعاقب، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وهذا قد ألف فيه الإمام البخاري كتاب: «خلق أفعال العباد»، وعلى ذلك الإجماع.

قال أبو الحسن الأشعري في «رسالته إلى أهل الثغر» (١٤٠): أجمعوا على أن الله تعالى قد قدر جميع أفعال الخلق وأجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم. اهـ.

وقال ابن حزم في «مراتب الإجماع» (١٦٧): اتفقوا أن الله عَزَّجَلَّ وحده لا شريك له خالق كل شيء. اهـ.

ومما يستفاد من ذلك أن الله منزّه عن الظلم، وأنه (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا. وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا) (١)، كل ذلك بقدره. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]. اتفق المسلمون وغيرهم على أنه منزّه عن الظلم، أما الجبرية

(١) «متن الطحاوية» (٣٦).

فإن أقوالهم تدل على أن الله لم يعدل، يقولون:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ ... إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ

ويقولون: الإنسان كالريشة في مهب الريح، فإذا ما له إرادة، وقد أثبت الله له مشية، وأثبت له إرادة، وأثابه على عمله الصالح، وعاقبه على عمله السيء، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٣/٣٨٣):

وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ الْكُفْرَ مِنَ الْكَافِرِ وَيَشَاؤُهُ، وَلَا يَرْضَاهُ وَلَا يُحِبُّهُ، فَيَشَاؤُهُ كَوْنًا، وَلَا يَرْضَاهُ دِينًا.

وَحَالَفَ فِي ذَلِكَ الْقَدَرِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ، وَزَعَمُوا: أَنَّ اللَّهَ شَاءَ الْإِيمَانَ مِنَ الْكَافِرِ، وَلَكِنَّ الْكَافِرَ شَاءَ الْكُفْرَ، فَرُّوا إِلَى هَذَا لِئَلَّا يَقُولُوا: شَاءَ الْكُفْرَ مِنَ الْكَافِرِ وَعَدَبَهُ عَلَيْهِ! وَلَكِنْ صَارُوا كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ! فَإِنَّهُمْ هَرَبُوا مِنْ شَيْءٍ فَوَقَعُوا فِيهَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ! فَإِنَّهُ يُلْزِمُهُمْ أَنَّ مَشِيئَةَ الْكَافِرِ غَلَبَتْ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ الْإِيمَانَ مِنْهُ - عَلَى قَوْلِهِمْ - وَالْكَافِرَ شَاءَ الْكُفْرَ، فَوَقَعَتْ مَشِيئَةُ الْكَافِرِ دُونَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى! وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْإِعْتِقَادِ، وَهُوَ قَوْلٌ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ مُخَالَفٌ لِلدَّلِيلِ.

رَوَى اللَّالِكَايِيُّ، مِنْ حَدِيثِ بَقِيَّةِ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ الْحَجَّاجِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ الْمُكِّيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ رَجُلًا قَدِمَ عَلَيْنَا يُكَذِّبُ بِالْقَدَرِ، فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمِيذٍ أَعْمَى، فَقَالُوا لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ لَأَعْضَنَ أَنْفَهُ حَتَّى أَقْطَعَهُ، وَلَئِنْ وَقَعَتْ رَقَبَتُهُ بِيَدَيَّ لَأَذَقَنَّهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَأَنِّي بِنِسَاءِ بَنِي فَهْمٍ يَطْفَنُ بِالْحَزْرَجِ، تَصْطَلُّكُ أَلْيَاثِمُنَّ مُشْرِكَاتٍ، وَهَذَا أَوَّلُ شِرْكَ فِي الْإِسْلَامِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْتَهِي بِهِمْ سُوءُ رَأْيِهِمْ حَتَّى يُخْرِجُوا اللَّهَ مِنْ أَنْ يُقَدَّرَ الْخَيْرُ، كَمَا أَخْرَجُوهُ مِنْ أَنْ يُقَدَّرَ الشَّرُّ».

قَوْلُهُ: (وَهَذَا أَوَّلُ شِرْكَ فِي الْإِسْلَامِ. إِلَى آخِرِهِ)، مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهَذَا يُوَافِقُ قَوْلَهُ: الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَدَّ اللَّهُ وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ نَقَضَ تَكْذِيبُهُ تَوْحِيدَهُ.

وَرَوَى عُمَرُ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفِينَةٍ، وَصَحَبْنَا فِيهَا قَدْرِيَّ وَجُوسِيَّ، فَقَالَ الْقَدْرِيُّ لِلْمَجُوسِيِّ: أَسْلِمَ، قَالَ الْمَجُوسِيُّ: حَتَّى يُرِيدَ اللَّهُ، فَقَالَ الْقَدْرِيُّ: إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يُرِيدُ! قَالَ الْمَجُوسِيُّ: أَرَادَ اللَّهُ وَأَرَادَ الشَّيْطَانُ، فَكَانَ مَا أَرَادَ الشَّيْطَانُ! هَذَا شَيْطَانٌ قَوِيٌّ! وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ: فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا!.

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حَلْقَةٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، فَقَالَ: يَا هَوْلَاءِ! إِنَّ نَاقَتِي سُرِقَتْ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تُسْرِقَ

نَاقَتْهُ فَسَرِقَتْ، فَارْذُدْهَا عَلَيْهِ! فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا حَاجَةَ لِي فِي دُعَائِكَ! قَالَ: وَلِمَ؟
قَالَ: أَخَافُ - كَمَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرِقَ فَسَرِقَتْ - أَنْ يُرِيدَ رَدَّهَا فَلَا تُرَدُّ!

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي عِصَامِ الْقَسْطَلَانِيِّ: أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى وَأَوْرَدَنِي الضَّلَالَ
ثُمَّ عَدَّيْنِي، أَيَكُونُ مُنْصِيفًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عِصَامٍ: إِنْ يَكُنِ الْهُدَى شَيْئًا هُوَ لَهُ فَلَهُ أَنْ
يُعْطِيَهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُهُ مَنْ يَشَاءُ. اهـ.

ومن فوائد الإيمان بالقدر باختصار:

- أن الإنسان يكون بذلك مطمئنًا على أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما
أخطأه لم يكن ليصيبه كما جاء في الحديث.
- وأنه يتعبد لله بهذه العبادة ويؤجر عليها وإن فاته التعبد بها هلك.
- وأنه يستفيد الشجاعة في الحق.
- ويستفيد الكرم لأنه يعلم أن كل شيء بقدر الله.
- ويستفيد زوال الهموم، وكثرة المراكمات على نفسه، والتوقعات، والقلق
هذا يبعد عنه بقدر إيمانه بالقدر، يسعد ويستريح بالله، قال تعالى: ﴿الْأَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]؛ لأنه مؤمن بالقدر خيره وشره.

- ويبعد عنه الهلع والجزع؛ لأنه مؤمن أن كل شيء مكتوب، مقدر عليه من
قبل أن يخلق، قال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا
لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا

مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ»^(١).

- ويستفيد القناعة، كل هذه الأمور عائدة إلى فوائد القدر.
- ويستفيد كذلك أيضاً البعد عن الإعجاب بالنفس والزهو بها، أنه مقدر ما أرد الله لهم من رفعة ستكون، وما أرد لهم من ضعة ستكون، كل شيء بقدر الله، فلو أعجب بنفسه أو تكبر ما زاد ولا نقص، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].
- ويستفيد الرضا وعدم التسخط، أمر مكتوب مقدر لا بد من الرضا بقضاء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، أما المقضي فمنه ما يجب الرضا به، ومنه ما لا يجوز الرضا به، القضاء والقدر يجب الرضا به؛ لأنه من عند الله، أما المقضيات منها ما هي شر فقد يكون هذا المقضي كوناً لا شرعاً زناً، هذا المقضي عليك معصية مما علمه الله سبحانه، لا يجوز الرضا بالمعاصي، قال السفاريني:

وَلَيْسَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَبْدِ الرِّضَا ... بِكُلِّ مَقْضِيٍّ وَلَكِنْ بِالْقَضَا

فمنه ما يكون محرم ما يرضى به، وأما فعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتقدير الله فيجب الرضا به.

- وأيضاً الإيمان بحكمة الله، واللجوء إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
- وكثرة الدعاء.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

• والخوف من سوء الخاتمة، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا» (١).

• والبعد عن ذوي الأَطْعَامِ، وعن الكهان، وعن المشعوذين، قال تعالى:

﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

واعلم أنَّ الإرادة الكونية - وهي مرادفة للمشيئة - لا بد من وقوعها، قال

تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا

قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ [فاطر: ٤٤]، فإيمان المؤمن وعمل المؤمن الصالح بقدر الله وإرادته

الكونية الشرعية، وكفر الكافر بقدر الله وعلمه الكوني ولم يجعله عليه شرعاً، ولم

يشرعه له، قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿٧﴾ [الزمر: ٧].

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال سفیان الثوري رحمه الله:

٩- يا شعيب بن حرب: والله ما قالت القدرية ما قال الله، ولا ما قالت الملائكة، ولا ما قال النبيون، ولا ما قال أهل الجنة ولا ما قال أهل النار، ولا ما قال أخوهم إبليس لعنه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا عَلَبْتَ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

وقال أخوهم إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

شرح الشرح

قَوْلُهُ: يَا شَعِيبُ بَنَ حَرْبٍ: وَاللَّهِ مَا قَالَتِ الْقَدْرِيَّةُ مَا قَالَ اللَّهُ:

أي: القدرية لم تتبع مراد الله، ولم تتبع كلامه ولا قوله، بل خالفوا كلام الله، وخالفوا قول الله، الله عَزَّجَلَّ قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

قَوْلُهُ: (ولا ما قالت الملائكة، ولا ما قال النبيون، ولا ما قال أهل الجنة ولا ما قال أهل النار، ولا ما قال أخوهم إبليس لعنه الله تعالى):

قال تعالى: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]، فلعن الشيطان ليس محظوراً، وإنما الاستعاذة منه أشد عليه، وإلا فلعنه مشروع في عقيدة أهل السنة كما ترى أن الثوري يلعنه اتباعاً للجنة الله له.

قَوْلُهُ: وَلَا مَا قَالَ أَخُوهُمْ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

أخوهم في دينهم، هذه أخوة في الدين؛ لأنَّ دين القدرية عند المصنف دين كفري، وإبليس كافر، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فهذه الأخوة ليس من الطينة أنهم كلهم من طينة واحدة؛ لكن دينية وإلا فهو من نار، كما قال الله **سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى:** ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، فهو من نار.

وبنو آدم من طين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلٰلَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، والآيات، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]، هذا القول يتضمن تكفيره القدرية.

ثم شرح ذلك، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجن: ٢٣]، أي: أن الله أضله، وهو سبحانه عالم أنه صائر إلى الضلال، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، أي: أن الله أضل هذا الشخص لعلمه السابق أن هذا الشخص ضال، هذا من المعاني الصحيحة للآية.

فهذا فيه إثبات أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، والقدرية لم تقل ذلك بل خالفوا ذلك، وجعلوا الإنسان هو الذي يضل نفسه، وخلق فعله، يقولون: تركه للصلاة، وقتله، وزناه، كلها ما خلقها الله، إنما هو الذي افتعلها.

قَوْلُهُ: (وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]:

القدرية ما قالت ذلك، قالوا: إن الإنسان يشاء فعل نفسه، ويقدر فعل نفسه لا سيما الشر.

قَوْلُهُ: (وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

[البقرة: ٣٢]:

فأثبتوا علم الله، والقدرية ينفون علم الله، فيقولون: الأمر أنف، إنما يعلم بعض الأمور ولا يعلم بعضاً إلا بعد حدوثها، ولهم في ذلك أقوال كثيرة.

وَلَا مَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ

تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، كله بقدر الله وبعلمه

السابق لمن يستحق الإضلال ومن يستحق الهداية، قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا**

تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: **﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]**.

والقدرية خالفوا ذلك، وقالوا: إن الإنسان يشاء إضلال نفسه، وليس الله سبحانه.

وَلَا مَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، إرادة كونية لا شرعية، هذا الإغواء، لم يرد الله من العبد شرعاً أن يكون غاوياً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦]؛ ولكن إرادة كونية، وهم هذه الإرادة الكونية ما يثبتونها، يقولون: بل أراد أن يغوي نفسه، فأغوى نفسه.

وَلَا مَا قَالَ شَعِيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِدْبَاجِنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ثم استثنى، قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، أي: مشيئة كونية، لا تكون المشيئة إلا كونية.

وَلَا مَا قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والقدرية الجبرية يقولون: هدايته من نفسه وإضلاله من نفسه، ما هو إلا كالريشة في مهب الريح.

وَلَا مَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، أي: سبق علينا علم الله فشققنا على حسب علم الله الذي علمه منا.

والقدرية النفاة، يقولون: خلق فعله، شقاوته هذه، أشقى نفسه ما أشقاه الله، الله

ما كتب عليها الشقاوة ولا قدرها عليه، بل أشقى نفسه، فعل هذه الأفاعيل فهلك.

وَلَا مَا قَالَ أَخُوهُمْ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، فهو يثبت أن الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يهدي، وهو الذي يضل، هو الذي أغواه وقدر عليه هذا؛

ولكن يستدل بالقدر على المعصية، وكل من يستدل بالقدر على المعصية قدوته

إبليس في ذلك، فإبليس يثبت القدر لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، الهداية والإغواء؛ ولكنه

يستدل بالقدر على المعصية، وقد نهى الله **عَزَّ وَجَلَّ** عن ذلك، وقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ

أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ

تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فلا يجوز الاستدلال

بالقدر على فعل المعاصي، ما يدريك أن الله قدره، بل تظن بالله حسناً وتجتنب

المعاصي، وتعلم أن الله أراد لك الخير، ولم يرد لك الشر فأعمل الخير، أما أن

تستدل بالمعاصي أنها مقدره عليك وتعمل المعاصي هذه طريقة إبليس.



قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠- يَا شَعِيبُ، لَا يَنْفَعُكَ مَا كَتَبْتُ حَتَّى تَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالْحُجَّ وَالْجِهَادَ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالصَّبْرَ تَحْتَ لَوَاءِ السُّلْطَانِ جَارِ أَمِ عَدَلٍ.

الشرح

قَوْلُهُ: (لَا يَنْفَعُكَ مَا كَتَبْتُ حَتَّى تَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالْحُجَّ وَالْجِهَادَ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالصَّبْرَ تَحْتَ لَوَاءِ السُّلْطَانِ جَارِ أَمِ عَدَلٍ):

هذه ثلاث فقرات:

• الفقرة الأولى، (الصلاة خلف كلِّ برٍّ وفاجرٍ):

جعل فيها الطحاوي فقرة، فقال في «الطحاوية»: «وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ. اهـ.»

الصحابة صلوا خلف الحجاج، وكان فاجراً، عاصياً، ظالماً، ناصبياً، مبتدعاً. والصلاة خلف عصاة المسلمين، إنما يعتزلها أهل الفضل والعلم على بعض أهل الكبائر من باب الزجر، وأما الصلاة على سائر المسلمين واجبة، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»^(١)، صلوا على كذا، فوجب الصلاة، والذي يعتزل ذلك

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٩)، ومسلم (١٦١٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

معناه: أنه لا يرى ما يعتقده أهل السنة من الصلاة خلف كل بر، وأما الصلاة خلف الصالح فهي أفضل، الصلاة خلف البر أفضل، النبي ﷺ نحًا بعض الناس عن الإمامة لبصاقه في قبلة المسجد، نحاه لهذا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سَلَامًا، وَلَا يُؤَمِّنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»^(١)، فهي خلف البر أفضل.

تصح الصلاة خلف الفاجر ما لم يصل فجوره وبدعته ومعصيته إلى حد الشرك بالله، فما يجوز الصلاة خلف الكافر بالإجماع، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، فقوله الفاجر فيه تفصيل بما يدل على فجور المسلم فقط، الفجور الذي لا يخرج عن الإسلام.

• **الفقرة الثانية، (الحجُّ والجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة):** أي: مع أولياء الأمور وهذا معتقد أهل السنة، ما ينعزل ويقول: هذا عاصي، هذا ظالم، هذا ما نحج معه ولا نرى الحج إلا أن يتولانا رجل صالح.

(١) أخرجه مسلم (٦٧٣)، عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

• الفقرة الثالثة، والصبرُ تحتَ لواءِ السلطانِ جارِأَمِ عدَلٍ: وأدلة فضل الصبر على

ذلك من كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، في طاعة الله، وفي غير معصية الله، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِكَعْبِ

بْنِ عُجْرَةَ: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «أُمْرَاءُ

يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتُنُونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَقْتَهُمْ بِكُذِبِهِمْ،

وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي،

وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْتَهُمْ بِكُذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسِيرِدُوا

عَلَيَّ حَوْضِي» (١).

(١) أخرجه أحمد (١٤٤١)، وهو حديث صحيح.

١١- قال شعيب: قتل لسفيان: يا أبا عبد الله، الصلاة كلها؟ قال: لا ولكن صلاة الجمعة والعيدين، صل خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فأنت خير ألا تصل إلا خلف من تثق به، وتعلم أنه من أهل السنة والجماعة.

الشرح

ثم استفسر، قال: (يا أبا عبد الله، الصلاة كلها؟ قال: لا ولكن صلاة الجمعة والعيدين)، الصلاة العامة حتى صلاة الفريضة على الصحيح، إذا انزل ولا يرى ولا يرى الصلاة خلف هذا الأمير، هذا يعتبر من الخروج، قال النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى مَعَهُمْ، وَاجْعَلُوهَا سُبْحَةً»^(١)، كان بنو أمية يؤخرون الصلاة عن أوقاتها، فأمرهم النبي ﷺ يصلوا الصلاة في أوقاتها، فإذا صلى الأمير صلوا معه وجعلوها سبحة، اتقاء للفتنة.

وصلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلف عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمنى أربعاً، وهو لا يرى الإتمام بمنى، وقال: «الْخِلَافُ شَرٌّ»^(٢).

ولكن النوافل وما كان من ذلك ما يلزم، هذا الذي هو الفرائض المؤكدة،

(١) أخرجه أحمد (٣٦٠١)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٦٠).

والعامة وما كان من ذلك.

قَوْلُهُ: (وَأَمَّا سَائِرُ ذَلِكَ فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ أَلَّا تُصَلَّ إِلَّا خَلْفَ مَنْ تَثَقُّ بِهِ، وَتَعْلَمُ أَنَّه مِنْ أَهْلِ
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ):

أي: أنه الأفضل، هذا من باب الأفضل.



قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢- يَا شَعِيبُ بْنُ حَرْبٍ، إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَأَلَكَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقُلْ: حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ سَفِيَانُ بْنُ سَعِيدِ الثَّوْرِيِّ، ثُمَّ خَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي يَا شَعِيبُ.

الشَّرْحُ

قَوْلُهُ: (يَا شَعِيبُ بْنُ حَرْبٍ، إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَأَلَكَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقُلْ: حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ سَفِيَانُ بْنُ سَعِيدِ الثَّوْرِيِّ، ثُمَّ خَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي يَا شَعِيبُ):

معناه: هذا معتقدي، أريد أن ألقى الله بهذا المعتقد، وأجيب به عند ربي، فأبان له معتقد أهل السنة في هذه الفقرات المختصرة.

وهناك أمور أخر من العقيدة؛ لكن هذه نبذة مهمة تحتها تفرعات كثيرة، ذكرنا ما يسره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولعله الله عَزَّ وَجَلَّ ييسر إتمامها، انتهى ما أردنا بيانه على هذه العقيدة المفيدة باختصار.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

الفهارس

□ فهرس الآيات

فهرس الفقرات

فهرس الموضوعات



فَهْرَسُ الْآيَاتِ

فهرس الأيات

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
		١- سورة الفاتحة	
١١٠، ٢٩، ٤٥	٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ مَلِكٌ ﴿٣﴾ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ ... ﴾	١
٢٩	٣	﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ ﴾	٢
٢٩	٤	﴿ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾	٣
٢٩	٥	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾	٤
٢٩	٦	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾	٥
٢٩	٧	﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾ ﴾	٦
		٢- سورة البقرة	
١١٦	٣	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾	٧
١٢١	١٤	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	٨
٢٣٢، ٢٢٩، ٤٧	٣٢	﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾	٩
٢٣١	٣٤	﴿ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا إِلَهٌ أَبَدٌ وَإِنَّمَا تَرَوْهُ بِحُجُوبٍ يُحِيطُ بِمَا لَا تَحِيطُ بِشَيْءٍ وَلَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا مَنِ ءَازَنَ ﴿٣٤﴾ ﴾	١٠
٤٤	٤٤	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	١١
٧٠	٧٦-٧٥	﴿ أَفَطَمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ لَحِقُوا فُتُورَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ... ﴾	١٢

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٧٠	٧٩	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِءَ مَتْنًا قَلِيلًا...﴾	١٣
١٤٦	٨١	﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾	١٤
١٧٣	٩٨	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾	١٥
٧٤	١٢٨-١٢٧	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا...﴾	١٦
٢٥	١٣٠	﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ نَفْسَهُ، وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ...﴾	١٧
٧٢	١٣٢	﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَىٰ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾	١٨
١١٨	١٣٦	﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنَّا وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ...﴾	١٩
١١٩، ٢٠	١٤٣	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾	٢٠
٢٣٢، ٢١٢	٢١٦	﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾	٢١
١١٢، ١٠٤، ١٠٢	٢٥٥	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٢٢
١٣٨، ١٧	٢٥٧	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ...﴾	٢٣
٣- سورة آل عمران			
٢١٩	٥	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	٢٤

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٩٢	٧	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾	٢٥
٢٩	١٩-١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ... ﴾	٢٦
١٤٤، ١٧٣، ١١	١٩	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾	٢٧
٢١٢	٢٦	﴿ وَبِيدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٢٨
١٠٦، ١٠٠	٢٠	﴿ يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ نَوَدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾	٢٩
١٥٢	٢١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	٣٠
١٠٩	٥٩	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	٣١
٧٤، ٦٩	٨١	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ... ﴾	٣٢
١١٩	٨٤	﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ... ﴾	٣٣
١٤٥، ١٧٤، ١٧٤، ١١	٨٥	﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٣٤
٢٠	١٠٢	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَتْ بَنَاتُ قُلُوبِكُمْ ... ﴾	٣٥
١٩	١٠٥	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	٣٦

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
۲۴۷	۱۵۴	﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾	۲۷
۴۱۸،۴۱۷	۱۶۵	﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	۲۸
۱۴۷،۱۴۱	۱۶۷	﴿هُمُ لِلْكَافِرِينَ أَوْلَىٰ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾	۲۹
۱۳۱،۱۲۹	۱۷۳	﴿فَأَخْسَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾	۴۰
۴-سورة النساء			
۲۳۷	۵۹	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	۴۱
۱۵۵،۲۸	۱۱۳	﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾	۴۲
۲۷	۱۱۵	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ...﴾	۴۳
۱۴۸،۱۴۷	۱۱۶	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	۴۴
۲۳۰	۱۱۸	﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخْذَلْتَنِي مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾	۴۵
۱۰۷،۱۰۰	۱۲۳	﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾	۴۶
۲۳۶	۱۴۱	﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	۴۷
۱۴۱	۱۴۶-۱۴۵	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَرِيحًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ...﴾	۴۸
۱۳۹	۱۴۶-۱۴۷	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	۴۹

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
١١٢، ٨٠	١٦٤	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	٥٠
١١٢	١٦٥	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	٥١
١٠٩، ١٠٩	١٧١	﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْجَمٍ﴾	٥٢
٥- سورة المائدة			
١٥٢، ١٤٤، ١٢٥، ١١١	٢	﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	٥٣
١٥٨	١٦-١٥	﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾	٥٤
٧١	١٥	﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾	٥٥
١١٧	٤١	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾	٥٦
٧٢	٤٤	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَعُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾	٥٧
٧١، ٧٠	٤٨	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾	٥٨
٧١	٤٩	﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	٥٩
١٣٩	٥٤	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرَدٍ مِنْكُمُ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	٦٠
٩٦	٦٧	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾	٦١

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٧٢	١١١	﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾	٦٢
		٦- سورة الأنعام	
٩٤	١	﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴿١﴾﴾	٦٣
٢٢٨	١٧	﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾	٦٤
٢١٧	١٨	﴿وَهُوَ الظَّاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾	٦٥
٢١٨	٢٨	﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴿٢٨﴾﴾	٦٦
٢٦	٢٨	﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٢٨﴾﴾	٦٧
٢١٨	٥٩	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي السُّرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ رِزْقِهِ إِلا يَعْلَمُهَا... ﴿٥٩﴾﴾	٦٨
٢٨	٨٢	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٦٩
١٢٢	٨٨	﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾	٧٠
٧٠، ٦٦	٩٢	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴿٩٢﴾﴾	٧١
٦٢	١١٩	﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَمَا لَكُمْ إِلا أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿١١٩﴾﴾	٧٢
٦٢	١٢١	﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴿١٢١﴾﴾	٧٣
١٦	١٢٢	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴿١٢٢﴾﴾	٧٤
١٤	١٣٠	﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴿١٣٠﴾﴾	٧٥

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
١٣٢	١٣٢	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾	٧٦
١٤	١٣٣	﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءآخِرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾	٧٧
٢٣٤	١٤٨	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾	٧٨
١٥٨، ١٧	١٥٣	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	٧٩
١٠١	١٥٨	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ بَعْضُ ءآيَاتِ رَبِّكَ﴾	٨٠
١٩	١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَأَسْتَأْذِنُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾	٨١
٧٢	١٦١	﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا فِيْمَا مَلَأَ ابْتِرَهِيمَ حَيْفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾	٨٢
١٤	١٦٥	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾	٨٣
		٧- سورة الأعراف	
١١٢	٢-١	﴿الْمَصِّ ﴿١﴾ كَتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾	٨٤
١٥٥	٢	﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	٨٥
٤٨	٦	﴿فَلَتَسْمَعَنَّ الَّذِينَ أُسِّلَ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْمَعَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾	٨٦
١٧٧، ٥٣	٢٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا...﴾	٨٧
٢٣٣، ٢٣٠، ١٨	٤٣	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾	٨٨

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٢٢٢، ٢١٥، ١١٤، ١١٢، ٩٣	٥٤	﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾	٨٩
٢٣٣، ٢٢٩، ٤٨	٨٩	﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٨٩﴾﴾	٩٠
١١٢، ١٠٩، ٨٧	١٤٣	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴿١٤٣﴾﴾	٩١
٨٦، ٨٠	١٤٨	﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴿١٤٨﴾﴾	٩٢
١٥٢	١٥٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيئَالَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلِكَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾	٩٣
٢٣٢، ٢٢٩، ٤٧	١٥٥	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴿١٥٥﴾﴾	٩٤
١٥	١٧٣-١٧٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا... ﴿١٧٣﴾﴾	٩٥
١٥١، ١٣، ١٣	١٧٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا... ﴿١٧٢﴾﴾	٩٦
١٧٢	١٧٦-١٧٥	﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا... ﴿١٧٦﴾﴾	٩٧
١٤٠	١٧٩	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَيْسًا مِنَ الْبُرْنِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا... ﴿١٧٩﴾﴾	٩٨
٦٦	٢٠٤	﴿وَإِذَا فُزِي الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾	٩٩
٨- سورة الأنفال			
١٢٣، ١١٩	٤-٢	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَادُّوهُنَّ لِئِمْنَا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾	١٠٠

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
١٣٧	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	١٠١
		٩- سورة التوبة	
١١٢	٦	﴿ وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ﴾	١٠٢
١٤	١٧	﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾	١٠٣
١٨	٣٣	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾	١٠٤
١٣٨	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾	١٠٥
١٨٧، ١٢٧	١٠٠	﴿ وَالسَّادِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ... ﴾	١٠٦
١٢٢	١٠٥	﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٧
١٣٠	١٢٥-١٢٤	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾	١٠٨
١٢٩	١٢٤	﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾	١٠٩
		١٠- سورة يونس	
١٣٧، ١٢٣	٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾	١١٠
٢١٩	١٨	﴿ قُلِ اتَّبِعُوا اللَّهَ بِمَا لَمْ يُعَلِّمْ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	١١١

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٦٦	٥٨-٥٧	﴿يَأْيُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُرُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِقَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...﴾	١١٢
١٣٨، ١٧	٦٤-٦٢	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ...﴾	١١٣
١١- سورة هود			
٢٠	٧	﴿يَتْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾	١١٤
٢٣٣، ٢٢٩، ١٧	٣٤	﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾	١١٥
٥٧	٤١	﴿وَقَالَ أَتَكُفِّرُونَ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَلَهَا إِنْ رَبِّي لَعَلُّورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾	١١٦
٧٥	٦٤	﴿نَاقَةَ اللَّهِ ﴿٦٤﴾﴾	١١٧
١٩	١١٩-١١٨	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾	١١٨
١٢- سورة يوسف			
١١٦، ١١٥	١٧	﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾	١١٩
٤١	٤٠-٣٩	﴿يَصْحَجِي السَّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا...﴾	١٢٠
١٣- سورة الرعد			
٢٢٢، ٩٣	١٦	﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١٦﴾﴾	١٢١
٢٢٦	٢٨	﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾	١٢٢
٦٨، ٦٧	٣١	﴿وَلَوْ أَنَّ قُومًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كِيدَتْ بِهِ الْمَوْتَىٰ لَبَلَ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا...﴾	١٢٣

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٢٢٠	٢٩	﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢٩﴾﴾	١٢٤
		١٤-سورة إبراهيم	
١١٢	١	﴿الرَّءُ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾	١٢٥
١٢٢	١٨	﴿كَرَّمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴿١٨﴾﴾	١٢٦
٢١	٢٧	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾	١٢٧
١٤	٢٤	﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴿٢٤﴾﴾	١٢٨
		١٥-سورة الحجر	
٢٣١	٢٧	﴿وَالجَبَانَ حَاقَتْهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾﴾	١٢٩
١٤٢	٣٦	﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾	١٣٠
٢٣٤، ٢٣٠، ١٤٢، ١٨	٢٩	﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴿٢٩﴾﴾	١٣١
٩٤	٩١	﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفِرْعَانَ عِضِيَّتَ ﴿٩١﴾﴾	١٣٢
		١٦-سورة النحل	
٥٢	٢٥	﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ يَغِيرَ عَلَيْهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾	١٣٣
٧٢	٢٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٢٦﴾﴾	١٣٤
٤٠	٤٣	﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾	١٣٥
١١٢، ٧٠، ٤٣٧	٤٤	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾﴾	١٣٦
٦٦	٩٨	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾	١٣٧

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٨٤	١٠٢	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾	١٣٨
١١٨	١٠٦	﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ...﴾	١٣٩
٧٢، ٦٥	١٢٠-١٢٣	﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا لِنَا إِلَهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾	١٤٠
١٧-سورة الإسراء			
٦٦	٩	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	١٤١
٩٤	٢٩	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾	١٤٢
١٧٧	٢٦	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣١﴾﴾	١٤٣
٩٥	٢٩	﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾	١٤٤
٦٩	٥٥	﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾	١٤٥
٦٦	٧٨	﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾	١٤٦
١٤١	١٠٢	﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلْ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَابِرٍ﴾	١٤٧
١٨-سورة الكهف			
٨٠	٥-٤	﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾	١٤٨
١٣٠، ١٢٩	١٣	﴿وَرَدَّ لَهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾	١٤٩
١٧٦	٢٨	﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدْوَةِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	١٥٠
٢١٨	٤٥	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾	١٥١

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٢٣١	٥٠	﴿إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا إِيْلَيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنَّا أَمْرٌ﴾	١٥٢
١٨٧، ١٤٣	١٠٨-١٠٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا ﴿١٨﴾﴾	١٥٣
٧٢	١٠٩	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٥﴾﴾	١٥٤
		١٩-سورة مريم	
١٤٨، ١٣٧، ١٣٠، ١٢٩	٧٦	﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾	١٥٥
١٣٨، ١٢٣	٩٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦١﴾﴾	١٥٦
		٢٠-سورة طه	
١٢٤	٧٥-٧٢	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٥﴾...﴾	١٥٧
١٣٩، ١٢٣	٨٢	﴿وَأِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾	١٥٨
٨٦	٨٩	﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فَوَلَا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾	١٥٩
٢٨	١٢٣	﴿فَمَنْ أَتَّبَعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾	١٦٠
		٢١-سورة الأنبياء	
٧٢	٢٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	١٦١
٩٤	٣١-٣٠	﴿أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ...﴾	١٦٢

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٢٢- سورة الحج			
٢٢١	٥	﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَارٍ﴾	١٦٢
٧٢	٧٨	﴿مَلَّةَ أَيْكُمُ الْبُرْهِيْمُ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسَالِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾	١٦٤
٢٣- سورة المؤمنون			
٢٢١	١٢	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾	١٦٥
٢٠	٥٢	﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾	١٦٦
١٣٢	٥٧-٦١	﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُعَاقِبُونَ رَبَّهُمْ يُوْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾	١٦٧
١٤٢	٨٤-٩٠	﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ...﴾	١٦٨
٢٣٣، ٢٣٠، ١٨	١٠٦	﴿رَبَّنَا عَلَّمَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾	١٦٩
٢٤- سورة النور			
١٢٢	٢٩	﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾	١٧٠
١٥٤، ١٢٧	٦٣	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ نُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١٧١
٢٥- سورة الفرقان			
٢٢٤، ٢٢٢، ٢١٥، ٢١١	٢	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾	١٧٢
١٢٢، ١٩	٢٣	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	١٧٣
١٤٠	٤٤	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	١٧٤
١٤٢	٦٠	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَرَادَهُمْ نُفُورًا﴾	١٧٥

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٢٣٦	٧٤	﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾	١٧٦
١٣٠	٧٧	﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾	١٧٧
		٢٦- سورة الشعراء	
٩٥	٥	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾	١٧٨
٥٠	٨٠	﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	١٧٩
		٢٧- سورة النمل	
١٤٣، ١٤١	١٤	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾	١٨٠
٥٧	٣١-٣٠	﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُنُوفِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾	١٨١
١٤	٦٢	﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾	١٨٢
		٢٨- سورة القصص	
٢٣٢، ٢٢٢	٥٦	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	١٨٢
٤٨	٦٢	﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	١٨٤
٣٣	٦٨	﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾	١٨٥
		٢٩- سورة العنكبوت	
١٤٢	٦٥	﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾	١٨٦
		٣٠- سورة الروم	
١٢	٣٠	﴿فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِمْ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٨٧

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٢٠	٢٢-٢١	﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا...﴾	١٨٨
		٣١-سورة لقمان	
١٤٥	٣٠	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾	١٨٩
		٣٣-سورة الأحزاب	
٦٢	٥	﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾﴾	١٩٠
١٥٤	٢١	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	١٩١
١٣١،١٢٩	٢٢	﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾	١٩٢
٢١٨	٢٧	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾	١٩٣
١٥٥،٢٨	٢٤	﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾	١٩٤
١٠٨	٢٨	﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾﴾	١٩٥
		٣٥-سورة فاطر	
١٣٢	٢٢-٢١	﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢١﴾ تُو أَوْرثْنَا الْكِتَابَ...﴾	١٩٦
٢١٧	٤٤	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾	١٩٧
		٣٦-سورة يس	
٨٨	٥٨	﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾	١٩٨
٨٧	٦٥	﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ﴾	١٩٩

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
٩٢	٨٢	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾	٢٠٠
		٣٧- سورة الصافات	
٤٧، ٤٦	٢٤	﴿ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾	٢٠١
٢٢٢	٩٦	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾	٢٠٢
		٣٨- سورة ص	
١٥٢	٢٦	﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٢٦﴾	٢٠٣
١٧	٢٨	﴿ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ﴿٢٨﴾	٢٠٤
١٤٢	٨٢	﴿ قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَعْيُنِنَهُمْ أجمعين ﴾ ﴿٨٢﴾	٢٠٥
		٣٩- سورة الزمر	
٢٢٨، ٢٢	٧	﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ ﴿٧﴾	٢٠٦
١١٢	٣٢	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾	٢٠٧
		٤١- سورة فصلت	
٨٤	٢-١	﴿ حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿٢-١﴾	٢٠٨
٨٧	٢١	﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ ﴾ ﴿٢١﴾	٢٠٩
١١١	٤٢	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ﴿٤٢﴾	٢١٠

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
		٤٢-سورة الشورى	
٨١	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	٢١١
١٣٢، ٢٢٤، ١٠	١٣	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى...﴾	٢١٢
١٥٢	٢١	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾	٢١٣
١٣٧، ٦٦، ٢٠	٥٢	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا...﴾	٢١٤
		٤٣-سورة الزخرف	
٩٥، ٩٣	٣	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	٢١٥
٩٣	٥٨	﴿مَا صَرَّفْنَاهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾	٢١٦
١٤٢	٨٧	﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	٢١٧
		٤٤-سورة الدخان	
٢٢١	٤-١	﴿حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	٢١٨
		٤٥-سورة الجاثية	
٨٤	٢-١	﴿حَمِّ ۝ نَزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	٢١٩
٢١، ١٠	١٨	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٢٠
٢٣١، ٢٢٩، ١٥٠، ٤٧	٢٣	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَرَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْمًا ۖ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ...﴾	٢٢١
		٤٦-سورة الأحقاف	
٧٣	٢١	﴿وَأَذْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّوْدُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ...﴾	٢٢٢

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	٨
		٤٧-سورة محمد	
١٦	١٢	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمْتَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ﴾	٢٢٣
١٣٠، ١٢٩	١٧	﴿وَالَّذِينَ هَتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾	٢٢٤
		٤٨-سورة الفتح	
١٨١	٢	﴿لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	٢٢٥
١٤٨، ١٣٧، ١٣٠، ١٢٨	٤	﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾	٢٢٦
١٤٥	١١	﴿يَقُولُونَ بِاللَّيْسَتِيهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾	٢٢٧
١٣٧	٢٩	﴿سَيَمَاهُرُ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أُنْزَالِ السُّجُودِ﴾	٢٢٨
		٤٩-سورة الحجرات	
١٩٥	٢	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾	٢٢٩
١٣٦	٧	﴿حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيْمَنَ وَرَيْبَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾	٢٣٠
١٤٧	٩-١٠	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ...﴾	٢٣١
١٣٨	١٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	٢٣٢
١١٨	١٤	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	٢٣٣
١٢٠	١٥	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ نُرَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	٢٣٤
		٥١-سورة الذاريات	
٢٣٣، ١٢٨، ١٢٥، ١٢١، ١٢٠	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٢٣٥

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
		٥٣-سورة النجم	
١٥٥،٢٨	٤-١	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾	٢٣٦
٣٩	٢	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾	٢٣٧
		٥٤-سورة القمر	
٢٣٠،٢٢٤،٢١١	٤٩	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	٢٣٨
		٥٥-سورة الرحمن	
٢٢٠	٢٩	﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾	٢٣٩
		٥٧-سورة الحديد	
٢١٧	٢٢	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴿٢٢﴾﴾	٢٤٠
٦٩	٢٥	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴿٢٥﴾﴾	٢٤١
١٥١	٢٧	﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابَتِهَا ﴿٢٧﴾﴾	٢٤٢
		٥٨-سورة المجادلة	
١٣٩،١٢٧	٢٢	﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ... ﴿٢٢﴾﴾	٢٤٣
		٥٩-سورة الحشر	
١٥٤،١٥٤،١٢٧	٧	﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴿٧﴾﴾	٢٤٤
		٦٠-سورة المتحنه	
١٣٩	١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ... ﴿١﴾﴾	٢٤٥

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
		٦١-سورة الصف	
١٧٥	٢-٢	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾	٢٤٦
٢٣١،٤١	٥	﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ؕ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾	٢٤٧
		٦٢-سورة الجمعة	
١٩٨	٢	﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ؕ﴾	٢٤٨
		٦٨-سورة القلم	
١٧	٢٦-٢٥	﴿أَفَجَعَلَ الْمُسَيِّمِينَ كَالْمَجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾﴾	٢٤٩
		٦٩-سورة الحاقة	
٩٥	٤٠	﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾	٢٥٠
٩٦	٤٧-٤١	﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ... ﴿٤٤﴾﴾	٢٥١
١٦٢	٤٧-٤٤	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا سَمِعْنَا مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾	٢٥٢
		٧٢-سورة الجن	
٧٥	١٩	﴿وَأَنذَرْتَهُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴿١٩﴾﴾	٢٥٣
		٧٤-سورة المدثر	
٧٦	٢٥	﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾	٢٥٤
٧٦	٢٦	﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾﴾	٢٥٥
١٢٩	٣١	﴿وَيَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيجْنَآ ﴿٣١﴾﴾	٢٥٦

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
		٧٥- سورة القيامة	
١٢٥	٢٦	﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ﴿٢٦﴾	٢٥٧
		٧٦- سورة الإنسان	
٢٣٢، ٢٢٩، ١٧	٣٠	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾	٢٥٨
		٧٧- سورة المرسلات	
٢١٢	٢٣	﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾	٢٥٩
		٨١- سورة التكويد	
٢٢٤، ٢٢٢	٢٩	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾	٢٦٠
		٨٤- سورة الانشقاق	
٦٧	٢	﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت ﴾ ﴿٢﴾	٢٦١
		٨٧- سورة الأعلى	
٢١٧	٣-١	﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾	٢٦٢
		٨٨- سورة الفاشية	
١٢٢	٥-٢	﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَابِيَةٍ ﴿٥﴾	٢٦٣
		٨٩- سورة الفجر	
١٠١	٢٢	﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ﴿٢٢﴾	٢٦٤
		٩٠- سورة البلد	
١٩٢	١٧	﴿ وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ ﴿١٧﴾	٢٦٥
		٩٨- سورة البينة	
١٨١	٨-٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴿٨﴾	٢٦٦

رقم الصفحة	رقم	طرف الآية	م
١٨١	٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	٢٦٧
		٩٩- سورة الزلزلة	
٢٢٣، ١٨٢	٨-٧	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴿٨﴾ ﴾	٢٦٨
١٠٦، ٩٩	٧	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴿٨﴾ ﴾	٢٦٩
١٠٧، ١٠٠	٨	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴿٨﴾ ﴾	٢٧٠
		١٠٠- سورة العاديات	
١٤	٧	﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾	٢٧١
		١١١- سورة المسد	
٢٠٠	٥-١	﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾	٢٧٢
		١١٢- سورة الإخلاص	
١٠٦، ١٠٦	١	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾	٢٧٣
		١١٤- سورة الناس	
١١٠، ٧٠	١١٤، ١	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ ﴾	٢٧٤



فہرسُ الفقراتِ

فَهْرَسُ الْفَقَرَاتِ

- الفقرة الأولى:** القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، مِنْهُ بدأَ وإليه يعودُ ٦٦
- الفقرة الثانية:** الإيمانُ قولٌ وعملٌ ونيةٌ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصية ١١٥
- الفقرة الثالثة:** موافقةُ السُّنةِ: تقدمةُ الشَّيخينِ أبي بكرٍ وعمرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** ١٦١
- الفقرة الرابعة:** تقديمُ عثمانَ وعليٍّ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** على مَنْ بعدهما ١٧٢
- الفقرة الخامسة:** لا تشهدُ لأحدٍ بجنةٍ ولا نارٍ إلا العشرةَ الذين شهدَ لهم النَّبِيُّ ﷺ ١٧٦
- الفقرة السادسة:** المسحُ على الخفينِ ٢٠٢
- الفقرة السابعة:** الإسرارُ بالبسملة ٢٠٤
- الفقرة الثامنة:** الإيمانُ بالقدرِ خيرٌ وشرُّه حلوهُ وممرُّه كلُّ مَنْ عندِ اللهِ ٢٠٦
- الفقرة التاسعة:** مخالفةُ قولِ القدريةِ لما قال اللهُ تعالى وملائكتهِ ورسلهِ وأهلُ الجنةِ والنارِ ولما قالَ أخوهم إبليسُ لعنه اللهُ تعالى ٢٢٩
- الفقرة العاشرة:** الصلاةُ خلفَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ، والحجُّ والجهادُ ماضٍ إلى يومِ القيامةِ، والصبرُ تحتَ لواءِ السلطانِ جارٌ أم عدلٌ ٢٣٥
- الفقرة الحادية عشر:** صلاةُ سائرِ النوافلِ أنتَ مُخَيَّرٌ ألا تُصلِّ إلا خلفَ مَنْ تَتَّقُ به، وتعلمُ أنَّه من أهلِ السُّنةِ والجماعةِ ٢٣٨
- الفقرة الثانية عشر:** إذا وقفتَ بينَ يدي اللهِ تعالى فسألكَ عن هذا الحديثِ فقل: حدَّثني بهذا الحديثِ سفيانُ بنُ سعيدٍ الثوريُّ، ثم خلَّ بيني وبينَ ربِّي يا شعيبُ ... ٢٤٠



فہرسُ (الموضوعیات)

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

- ٥ مقدمة
- ٩ المقدمة وتتضمن أهمية العقيدة الصحيحة وفضلها
- ١٠ تسمية كتب العقيدة
- ١١ أهمية العقيدة
- ٢١ تعريف العبادة
- ٢٢ طرق حديث الطائفة المنصورة: (وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ) ...
- ٢٥ شمولية العقيدة
- ٢٦ قَوْلُهُ: (عقيدة سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ)
- ٢٩ كتاب الله كله توحيد
- ٣٠ ترجمة سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ
- ٣٥ إسناده عقيدة سفيان وسؤال شعيب له
- ٣٧ تعريف السنة ومعناها إذا أفردت بالذكر
- ٥٧ كتابة: البسملة في أوّل الرسائل من السنة عند أهل السنة
- ٥٨ إجماع العلماء على كتابة البسملة في أوّل الرسائل
- ٦٠ بركة البسملة
- ٦٦ الفقرة الأولى: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، منه بدأ وإليه يعودُ
- ٦٦ الفقرة الأولى: لفظ القرآنُ
- ٦٧ الفقرة الثانية: لفظ القرآن يأتي بمعنى عام، وبمعنى خاص

مفاتيح الموضوعات

- بيان أن الكتب المتقدمة كلها منسوخة وحكم النبي ﷺ على اليهودي الذي زنا
 ٧١ بحكم القرآن.
- ٧٢ الإسلام بالمعنى العام والخاص
- بيان غلط قول: (إن الدين الإبراهيمي جامع بني الإسلام وغيره من الأديان
 ٧٤ الباطلة).
- ٧٥ الفقرة الثالثة: قَوْلُهُ: (كلام الله).
- ٧٥ الفقرة الرابعة: وجوب اعتقاد أن الله تعالى متصف بصفات الكمال
- ٧٦ الفقرة الخامسة: افترق الناس في مسألة: الكلام لله تعالى على تسعة أقوال
- ٨٠ إجماع السلف رضوان الله عليهم على إثبات صفة الكلام لله عز وجل
- ٨٤ بيان أن القرآن والعلم يُرفعان في آخر الزمان
- ٨٥ كلام الله تعالى بحرف، وصوت وهو من إضافة المعاني، ومن صفات الكمال
- ٨٧ الرد على شبهة القائلين: إن إثبات الكلام لله تعالى يلزم منه التشبيه والتجسيم
- إثبات الكلام لله تعالى بما يليق بجلاله بدون تكييف والأدلة على ذلك من الكتاب
 ٨٨ والسنة
- ٩٢ شبهات القائلين بخلق القرآن:
- ٩٣ الشبهة الأولى: في قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
- ٩٣ الشبهة الثانية: في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾
- الشبهة الثالثة: في قول الله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ
 ٩٥ مُعْرِضِينَ﴾
- ٩٥ الشبهة الرابعة: في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾

- الشبهة الخامسة: في قول النبي ﷺ: (إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَىٰ صَاحِبَهُ... كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ) ٩٧
- البيان لحديث آية الكرسي لها لسان وشفتان ١٠٢
- الشبهة السادسة: في قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٢٨﴾﴾ ١٠٨
- الشبهة السابعة: في قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَكَالِمُتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرِيْمَ﴾ ١٠٩
- شبهات أخرى لكنها واهية ١٠٩
- إجماع أهل العلم على أنَّ القائل: إنَّ القرآن ليس بكلام الله، فهو كافر ١٠٩
- تفاضل القرآن ١١١
- لوازم القول بخلق القرآن ١١٢
- الفقرة الثانية: الإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ ١١٥**
- تعريف الإيمان ١١٥
- نقل الإجماع على أنَّ الإيمان: قول وعمل واعتقاد ١١٦
- الأدلة على أنَّ الإيمان تصديق القلب، وقول القلب ١١٧
- دليل النية والاعتقاد ١١٨
- دليل القول ١١٨
- الأدلة على أنَّه عمل بالجوارح ١١٩
- ومن الأدلة على أنَّ الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ١٢٣
- لا يجوزُ القولُ إلا بالعملِ ولا يجوزُ القولُ والعملُ إلا بالنية ١٢٧
- من الأدلة على أنَّ الإيمان يزيد وينقص ١٢٨
- اختلاف الناس أهل القبلة في تعريف الإيمان ١٤٠
- الدعوة إلى وحدة الأديان، لها تأثير بقول الجهمية: إنَّ الإيمان هو المعرفة ١٤٤

- ١٤٨ ملخص الأقوال في تعريف الإيمان
- ١٥١ من شروط صحة الإيمان
- ١٥٤ لا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة، وبيان أن منكري السنة كفر .
- ١٥٩ السنة قد تطلق على الطريقة أو على مقابل الواجب
- ١٦١ الفقرة الثالثة: موافقة السنة: تقدم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما**
- ١٦٢ قول الرافضة: إن جبريل عليه الصلاة والسلام خان الأمانة
- ١٦٣ اختلاف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟
- ١٦٥ إثبات الخلافة لعمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما بتفويض أبي بكر واتفاق الأمة
- ١٦٧ إثبات الخلافة لعثمان ثم لعلي رضي الله عنهما
- ١٦٧ إجماع أهل السنة على أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل، كترتيبهم في الخلافة
- ١٧٠ مسألة تقديم علي على عثمان رضي الله عنهما في الفضل أو الخلافة
- ١٧٢ الفقرة الرابعة: تقديم عثمان وعلي رضي الله عنهما على من بعدهما**
- ١٧٢ من سار على طريقة السلف استفاد وانتفع بعلمه ونفع
- ١٧٦ الفقرة الخامسة: لا تشهد لأحد بجنة ولا نار إلا العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم**
- ١٨١ أقول أهل العلم في هذه المسألة
- ١٨٦ القول الراجح في أطفال المسلمين وأطفال المشركين
- ١٨٧ الشهادة لسائر الصحابة بالجنة من حيث العموم
- ١٨٧ الشهادة لكل من مات على توحيد الله، وعلى الإيمان من حيث الجملة
- ١٨٨ سرد بعض من سمى النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة من العشرة المبشرين وغيرهم
- ٢٠٢ الفقرة السادسة: المسح على الخفين**
- ٢٠٤ الفقرة السابعة: الإسرار بالبسملة**

الفقرة الثامنة: الإيمانُ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ حلوهِ ومرهٌ كلُّ من عندِ اللهِ ٢٠٦

تعريف القدر..... ٢٠٦

من أدلة الإيمان بالقدر ٢١٠

نقل الإجماع على أنَّ القدر خيرهِ وشرهِ من الله تعالى ٢١٦

القدر قدرة الله تعالى ٢١٧

مراتب القدر ٢١٨

١- مرتبة العلم ٢١٨

٢- مرتبة الكتابة ٢١٩

أقسام الكتابة ٢٢٠

٣- مرتبة المشيئة ٢٢١

٤- مرتبة الخلق ٢٢٢

من فوائد الإيمان بالقدر باختصار ٢٢٦

الفقرة التاسعة: مخالفة قول القدرية لما قال الله تعالى وملائكته ورسله وأهل الجنة والنار**ولما قال أخوهم إبليسُ لعنه الله تعالى ٢٢٩**

أقول القدرية في القدر ٢٣٢

قول القدرية الجبرية ٢٣٣

قول القدرية النفاة ٢٣٣

الفقرة العاشرة: الصلاةُ خلفَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ، والحجُّ والجهادُ ماضٍ إلى يومِ القيامةِ، والصبرُ**تحت لواءِ السلطانِ جارٍ أمرُ عدلٍ ٢٣٥**

الفقرة الأولى: الصلاةُ خلفَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ ٢٣٥

الفقرة الثانية: الحجُّ والجهادُ ماضٍ إلى يومِ القيامةِ ٢٣٦

- الفقرة الثالثة: الصبرُ تحتَ لواءِ السلطانِ جارَ أم عدلَ ٢٣٧
- الفقرة الحادية عشر: صلاة سائر النوافل أنتُ مُخِيرٌ أَلَا تُصَلِّ إِلَّا خَلْفَ مَنْ تَتَّقُ بِهِ ، وتعلمُ أَنَّهُ
مِنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ٢٣٨
- الفقرة الثانية عشر: إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَأَلَكَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقُلْ: حَدَّثَنِي بِهَذَا
الْحَدِيثِ سَفِيَانُ بْنُ سَعِيدِ الثَّوْرِيِّ ، ثُمَّ خَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي يَا شَعِيبُ ٢٤٠
- فهرس الآيات ٢٤٣
- فهرس الفقرات ٢٦٧
- فهرس الموضوعات ٢٦٩